

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵓⵎⵓⵍⵓⵔ ⵎⵎⵎⵔⵉ ⵔⵉⵣⵓⵣⵓ

ⵏ ⵙⵓⵔⵉⵔ ⵏ ⵏⵓⵔⵓⵔⵓ ⵏ ⵏⵓⵔⵓⵔⵓ

ⵏ ⵏⵓⵔⵓⵔⵓ ⵏ ⵏⵓⵔⵓⵔⵓ

Université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et Littérature Arabes



جامعة مولود معمري، تيزي-وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي.

الفرع: دراسات لغوية.

التخصص: لسانيات تطبيقية.

عنوان المذكرة

لسانيات ما بعد دي سوسير

إشراف الأستاذ(ة):

نصيرة كتاب

إعداد الطالبتين:

مليكة موقاري

مالحة بطاطاش

لجنة المناقشة:

- كريمة سالمى، أستاذة التعليم العالي، جامعة تيزي وزو.....رئيسة

- نصيرة كتاب، أستاذ محاضر صنف "أ"، جامعة تيزي وزو.....مُشرفة ومُقررة

- فريدة بن فضة، أستاذة التعليم العالي، جامعة تيزي وزو.....ممتحنة

السنة الجامعية: 2024/2023م.

شكر وعرّفان

الحمد لله منير الدّرب، ملهم الصّبر، الَّذي أنعم علينا بنعمة العلم.

نشكر الله عزّ وجلّ الَّذي مكّننا من تخطّي المصاعب

وأعاننا على إتمام هذا العمل على أحسن حال.

نشكر الأستاذة المشرفة "نصيرة كتاب" على المجهودات التي بذلتها من أجل إتمام بحثنا هذا.

إهداء

إلى كلّ من أضاء بعلمه عقل غيره أو هدى بالجواب الصّحيح حيرة سائله.

نهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

وجزاها الله خيرا في تربيتهما.

كما نهدي هذا العمل إلى زوجة الأستاذ عبدوش رحمه الله

التي مدّت لنا يد العون ماديا ومعنويا

مقدمة

يُعتبر موضوع اللسانيّات من أهمّ المواضيع الحديثة في الفكر الإنساني الحديث، إذ انتقل من الفكر التأملي الفلسفي والأدبي إلى علميّة اللغة وعالميّتها، ويعود الفضل في ذلك إلى العالم السويسري فرديناند دي سوسير" من خلال محاضراته سنة 1916 التي قام بتدوينها مجموعة من الطّلبة.

فقد قدّم "سوسير" تصوّرًا جديدًا لدراسة اللّغة من خلال منهجه البنيوي، والذي ارتكز على الفصل بين اللّغة والكلام والبنية الداخليّة للّغة بوصفها نظامًا مستقلًا، ولم يتوقّف هذا البحث عند مفاهيمه الأولى، بل امتدّ إلى آفاق علميّة ونظريّات ودراسات لسانيّة عالميّة مختلفة، حيث ظهرت العديد من الاتّجاهات النظريّة التي تجاوزت البنيوية إلى مقاربات أخرى كالتداولية وما بعد البنيوية التي سعت إلى معالجة بعض القضايا التي لم يتناولها "سوسير" بشكل كافٍ، كما أعادت التّفكير في بعض المفاهيم الأساسيّة التي طرحها.

أمّا فيما يخصّ أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، فهناك أسباب ذاتيّة وأخرى موضوعية، فتمثّلت الدّاتية في رغبتنا للبحث في هذا الموضوع كونه يخصّ اللسانيّات وهو التخصص الذي ننتمي إليه، وكذلك لنكمل مجال البحث الذي تناولناه في مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس، وهذا كلّه يعدّ تحفيزًا واقتراحًا من الأستاذة المشرفة.

أمّا الأسباب الموضوعيّة: شغفًا بمجال اللغة التي أصبحت علمًا يدرس في ذاته بفضل اللسانيّات السّوسيرية وامتدادها إلى يومنا هذا.

ومن هذا أردنا البحث في الفكر السوسيري وآثاره وآفاقه، وهذا ما ولّد في أذهاننا الإشكالية التّالية: كيف تجسّدت الأفكار السّوسيرية من خلال المدارس الحديثة؟

ومن هذه الإشكالية تتفرّع عدّة تساؤلات منها:

- ما هي آثار الفكر السّوسيري في المدارس اللّسانية الحديثة؟

- ما هي أهمّ المدارس اللسانية التي انطلقت من الفكر السوسيري البنيوي؟

وما كان أن تتضح هذه الإشكالية إلا من خلال الدراسات السابقة لمجموعة من العلماء والمؤلفين والدارسين لعم اللغة، واقتضت الدراسة خطة تتمثل في مدخل وفصلين وخاتمة.

1- المدخل: المعنون ب: "اللسانيات السوسيرية"، والذي تتدرج فيه ثلاثة عناوين

أخرى تتمثل في:

أولاً: تطرقنا إلى أهمّ المبادئ اللسانية منها:

- علمية اللغة: حيث انتقلت اللغة من الأفكار النحوية والفلسفة إلى علم قائم بذاته ولذاته، معتبراً اللغة مجالاً للدراسة والتحليل.

- بنية اللغة: حيث أنّ اللغة تُدرّس بالاعتماد على نظام معيّن يراعي منهاجاً معيّن في سياق معيّن.

- مستويات اللغة: والذي يهتمّ بالبحث في الأصوات ومخارجها وكيفية تكوّنها وأنواعها والصفات المميزة لها، والطريقة الصحيحة في نطقها وكذلك تحوّلها وتمائلها ووظائفها والبحث في مقاطعها الصوتية من حيث النبر والتنغيم.

ب- المستوى الصرفي: والذي يهتمّ بدراسة بنية الكلمات وتحليلها إلى مكوناتها الأساسية.

ج- المستوى النحوي: حيث يهتمّ بدراسة قواعد تركيب الجمل والبنية النحوية للغة نحوياً، وكيفية ارتباط هذه الكلمات ببعضها البعض ضمن الجمل لتحقيق المعنى المطلوب.

د- المستوى الدلالي: والذي يهتمّ بدراسة المعنى في اللغة وكيفية تمثيل المعاني وفهمها وتفسيرها في الكلمات والجمل والتّصوص.

4- ثنائيات دي سوسير: من أهمّ الثنائيات التي تطرّق إليها دي سوسير:

- اللغة والكلام.

- العلامة اللغوية (الادل والمدلول).

- الآنية والزمانية.

وبعد تحليلنا لكل هذه النقاط قمنا بتقديم خلاصة موجزة لهذا الفصل.

الفصل الثاني: الذي عنوانه ب: "آثار الفكر السوسيري في المدارس اللسانية الحديثة".

حيث عرضنا فيه مختلف المدارس اللسانية التي جاءت بعد "سوسير" والتي انطلقت من أفكاره الأولية. وقد افتتحنا الفصل بتمهيد تمثل في أنّ الفكر السوسيري البنيوي الذي كان منطلق عدة مدارس لسانية حديثة وسببا لظهورها.

1- المدرسة الوظيفية "لأندرية مارتيني": التي ركزت على دراسة اللغة من منظور وظيفي.

2- المدرسة الكلوسيماتيكية ل"هيلمسليف": الذي يعتبر اللغة بنية لأنها تتكوّن من محتوى وتعبير وسياق ونظام.

3- المدرسة التداولية: والتي اعتبرت اللغة نشاطا يمارس في سياقات مختلفة وكثيرة تهتمّ باللفظ داخل السياق ولا تهتمّ بوصف الجمل دلاليا.

4- المدرسة السياقية (فيرث): حيث يرى أنّ المعنى لا يمكن حصره في نماذج منطقية أو تصورات فلسفية مجردة، بل إنّ المعنى يجب أن يفهم من خلال دراسة الاستخدام الفعلي للغة في السياقات المختلفة.

5- المدرسة التوزيعية ل"بلومفيلد": ويهدف إلى وصف اللغة وجعلها مجموعة من التعبيرات المادية التي تشكل اللغة دون تدخل الدلالات، وكذلك يقصد بها السياقات اللغوية التي يظهر فيها عنصر لغوي معيّن مثل الصّوت أو الحرف أو البيئة التي قد تؤثر عليها.

6- المدرسة التوليدية التحويلية (تشومسكي): ركّز فيها على المعنى المنطقي الرياضي وأنّ الإنسان قادر على توليد وإنتاج جمل عديدة لم يسمع بها من قبل، وهذا يعكس الطبيعة الإبداعية للغة البشرية التي تعتمد على مجموعة محدودة من القواعد والعناصر، لكنّها قادرة على إنتاج عدد غير محدود من الجمل.

وبعد عرضنا للمدارس اللسانية الحديثة لما بعد الفكر السوسيري والتطرق إلى مبادئ كل منها وعلاقتها ببعضها البعض والمنطقات التي انطلقت منها أنجزنا خلاصة لهذا الفصل.

وفي النهاية قدّمنا خاتمة لهذا البحث استوفت النتائج الهامة التي توصلنا إليها من خلاله، وقائمة المراجع والمصادر التي اعتمدنا عليها.

وكأي موضوع دراسة فإنّ البحث يتطلّب اتباع منهج معيّن، لذا كان لزاماً علينا استخدام من المناهج ما يناسب وضعية موضوعنا وهي القراءة الإبتيمولوجية من أجل معرفة تاريخ الفكر اللساني وما هي التطورات التي مرت عبر العصور إلى المدارس اللسانية الحديثة التي جاءت بعد سوسير. أما المنهج التحليلي فقد استعنا به في تحليل مجموعة من الاقتباسات من أجل تبسيط الفكرة المراد الوصول إليها وتحليل وشرح أهم المبادئ اللسانية وكذلك في تحليل العلاقة الموجودة بين المدارس اللسانية الحديثة، وعلاقتها ببعضها البعض وبالفكر السوسيري ككلّ، معتمدين على كتب ومراجع مختلفة نذكر منها: علم اللغة العام لدي سوسير، مبادئ في اللسانيات لخولة طالب الإبراهيمي، مستويات اللغة العربية لعبد المومن أبو العسل، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة لأندرية مارتيني، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة لشفيقة العلوي.

ورغم المجهودات التي بذلناها لإنجاز هذا البحث، إلا أنه واجهتنا بعض الصعوبات منها: كثرة المراجع والدراسات النظرية مما يصعب علينا انتقاء أهمها.

ونتقدم في الأخير بأسمى عبارات الشكر والامتنان للأستاذة المشرفة "تصيرة كتاب" التي كانت خير سند لنا في إنجاز هذا البحث العلمي، فلها كل التقدير والاحترام.

الفصل التمهيدى

إنّ المفاهيم التي بُنيت عليها المفاهيم اللسانية الحديثة لم تنشأ من العدم، بل هي نتيجة لتطوّر طويل استمرّ عدّة قرون، حيث وظّفت في شتى المجالات الخاصة بالعلوم الإنسانية، فهي علم قائم بذاته إلى يومنا هذا ولا تزال البحوث مستمرة فيه. «لقد استطاع الإنسان أن يضع منذ القديم مصطلحات صوتية من أجل التّواصل مع غيره، فصارت هذا الأصوات الرّمزية عوناً له في حياته، بل وسيلة لتنمية مداركه العقلية وكسب المعارض الضرورية دون غيره من الكائنات الحيّة الأخرى».¹ لذا فكّر الكثير في هذه الوسيلة التي خصّت بني آدم وجعلته يتواصل مع غيره، فتدبّروها وتأمّلوها وتوصّلوا إلى حلّ يحفظ الكلام من الرّوال وفناء حروفه كونها أصواتاً تنتشر في الهواء بالتموّج فتزول بزواله، وذلك بتمثيله تمثيلاً ملموساً وتصويره على الحجر أو أيّ مادّة صلبة، حيث يحمل معاني ترمز من قريب أو من بعيد، حيث تُمكن بني البشر أن يخاطبوا بعضهم البعض وبينهم مسافة بعيدة، أو مخاطبة الأجيال اللاحقة التي لم ترد بعد.

وبما أنّ الإنسان يميل دائماً إلى الإقتصاد في مجهوده، فكّر في اختصار هذا التّمثيل والتّخفيف ممّا يكلف المبلّغ والمبلّغ إليه من مشاق التّصوير المعقّد، وبعد تأمّلٍ دقيق عبر قرون من الزّمن والوقوف عند اللسان البشريّ والصفة الجوهرية التي يتّصف بها، فاكتشف البعض أنّ للكلام مستويين: مستوى العناصر الدّالة، ومستوى العناصر غير الدّالة. واكتفوا بتمثيل رمزيّ لهذه العناصر المحدودة بدل تصوير المعاني الكثيرة، فكانت الكتابة تصويراً رمزيّاً للهجاء بعد أن كانت تصويراً رمزيّاً للمعاني. «فنرى مجرد وجود كتابة مثل هذه في تلك العصور العتيقة (القرن الخامس عشر قبل الميلاد) لدليل واضح على قدم البحث».²

¹ - ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ط2، الجزائر: 2007، موفم للنشر، ص49،

50.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص51.

فبالتالي وجود الكتابة في القرن الخامس قبل الميلاد يظهر أنّ الاهتمام بالبحث والتوثيق له تاريخ طويل جداً، وأنّ البشر منذ زمنٍ بعيد كانوا يسعون لفهم العالم من حولهم وتسجيل ما يتوصلون إليه.

لقد اعتادت الحضارات المختلفة منذ العصور الأولى لبداية التفكير في اللغة على استعمال مصطلح "النحو" Grammaire، وذلك ابتداءً من نحو "بانيني" (Panini)، مروراً بالنحو العربي وصولاً إلى نحو "بور رويال" (Pour Royal)، وذلك لتقديم الحلول للمشاكل اللغوية آنذاك. ومصطلح لسانيات لم يظهر إلاّ بظهور العلوم الرياضية والفيزيائية والطبيعية والفلسفية في القرن 18 ليواكب هذا التطور نظراً لأهميته في حلّ مختلف المشاكل العلمية وهذا ظهر مصطلح (Linguiste) سنة 1816. أمّا مصطلح "لسانيات" (Linguistique) فلم يظهر إلاّ سنة 1833م وكان يخصّ طريقة دراسة اللغة على خلاف النحو، وهو ما عكسته اللسانيات التاريخية والمقارنة، لكنّ اللسانيات لم تظهر كعلم إلاّ مع سوسير.¹

وتنقسم اللسانيات بالنظر إلى غايتها إلى لسانيات نظرية ولسانيات تطبيقية، فاللسانيات النظرية تدرس النظريات اللسانية ومناهجها، كما تدرس ذاتها وتحدّد خصائصها ومبادئها على أنّه علم الموضوعية في ضبط الظواهر اللغوية ومنهجيتها الدقيقة التي تستخدمها كأداة في بحثها العلمي. أمّا اللسانيات التطبيقية فنقوم على التطبيقات الوظيفية لللسانيات في علاقتها بالعلوم الأخرى، وتنقسم بدورها إلى اللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية واللسانيات البيولوجية.

¹ - ينظر: عبد السلام عشير، تطور التفكير اللغوي من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل، ط1، 2010م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص33.

وإذا نظرنا إلى نشأة اللسانيات كعلم مستقل بذاته بدأت بشكل واضح في أوائل القرن العشرين، رغم أنّ الاهتمام باللّغة يعود إلى العصور القديمة، فتاريخ اللسانيات هو تاريخ طويل ومعقد يتأثر بتطور الفكر البشري حول اللّغة عبر الزمن، حيث يمكن تقسيم هذا التاريخ إلى عدّة مراحل رئيسية:

1- المرحلة القديمة (العصور القديمة): أين برزت الحضارة الهندية التي تُعتبر من

أوائل الحضارات التي اهتمت بدراسة اللّغة بشكل منهجي، فيعدّ عالم اللّغة الهندي "بانيني" في القرن الخامس قبل الميلاد من أهمّ أعلام هذا المجال، والذي وضع قواعد شاملة للّغة السنسكريتية.

بالإضافة إلى الحضارة اليونانية التي تناولت اللّغة بشكل فلسفي، حيث ناقش أفلاطون العلاقة بين الألفاظ والمعاني واهتمّ كذلك بتحليل اللّغة في إطار منطقي، وهذا ما ظهر في كتابه حول المنطق والمعاني.

2- الحضارة الوسيطة (العصور الوسطى): من أبرز الحضارات التي اهتمت بمجال

اللّغة الحضارة العربية الإسلامية، حيث قدّم علماء اللّغة العرب إسهامات هامة في مجال النّحو والصّرف "كسيبويه" الذي ألّف كتاب "الكتاب" في النّحو العربي و"الخليل بن أحمد الفراهيدي" الذي وضع أوّل معجم لغوي.

أمّا في أوروبا فقد كانت الدّراسات اللغوية تتمحور حول دراسة النّحو اللاتيني والنّحو الكلاسيكي الإغريقي والروماني، ومع عصر النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر والسادس عشر بدأت اللّغات الأوروبية تأخذ مكاناً أكبر في الدّراسة وظهر اهتماماً متزايداً بدراسات اللّغات العامية إلى جانب اللاتينية، حيث بدأ العلماء في تحليل اللّغات بشكل أكثر عمقاً، ولكن دون إطار نظري شامل.

وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر علم فقه اللّغة المقارن الذي يدرس اللّغة من منظور تاريخي، حيث يسعى العلماء إلى فهم تطوّر اللّغات من خلال مقارنة أنساقها المختلفة، منهم "جاكوب غريم" الذي قدّم شرحاً لتطوّر الأصوات بين اللّغات الجرمانية والهندية الأوروبية.

وفي القرن العشرين يعدّ "فرديناند دي سوسير" (Ferdinand De Saussure) الأب المؤسس للّسانيات الحديثة، حيث قدّم مفاهيم جديدة لعلم اللّغة وركّز على اللّغة كنظام من العلامات، ويعتبر مؤسس البنيوية التي انطلقت منها مختلف المدارس اللّسانية الحديثة.

وخلاصة القول هي أنّ تطوّر علم اللسان عبر التّاريخ من اهتمامات فلسفية في العصور القديمة إلى دراسة علمية دقيقة للّغات وأنظمتها في العصور الحديثة، هذا العلم لا يزال يتوسّع ويزداد تعقيداً مع مرور الزمن مستفيداً من التطوّرات في مجال العلوم الأخرى مثل علم النفس وعلم الاجتماع والتكنولوجيا.

الفصل الأول

التّسانيات السوسيرية

يُعدّ "فرديناند دي سوسير" (Ferdinand De Saussure) مؤسس علم اللسان الحديث وواضع الفكر اللساني، إذ قام بإخراج اللّغة من الفكر الفلسفي والعقائدي إلى العلميّة والعالمية، وطبّق المنهج العلمي عليها.

وُلد في 26 نوفمبر 1857م في "جنيف" من عائلة علميّة وفنيّة، ممّا أثر في شخصيّته القويّة وموهبته اللّسانية الأصيلة ونزوعه الفائق، إلى جانب البحث النظري والتأثير الذي مارسه على طُلابه، كلّ ذلك لم يجعله مؤسساً لمدرسة علميّة مهمّة فقط، بل مؤسساً لعصر بأكمله من الدرس اللساني وقلب الموازين لفكر عاش للأبد.

كان "فرديناند دي سوسير" مهتمّاً بمختلف اللّغات الإغريقية واللاتينية والسنسكريتية، ثمّ التحق بكلية الآداب في ألمانيا "لا بيرغ" عام 1876م، التي شهدت تجديدًا بارزًا في الدّراسات اللغويّة الخاصّة في الصّوتيات والمورفولوجيا اعتمادًا على النّحو المقارن، حيث قضى فيها حوالي أربعة فصول دراسيّة، وفي عام 1878 نشر ثلاث مقالات، وفي العام التّالي أعدّ أطروحته للدكتوراه التي كان موضوعها: "علم الصّرف في اللّغة السنسكريتية"، وفي العام نفسه نشر بحثه حول "نظام الحركات الأساسي في اللّغات الهندوأوروبية"، ومنها أصبح عضوًا في الجمعيّة اللّغوية بباريس.

وفي سنة 1881م عاد إلى "جنيف" أين اشتغل كمدرّس في الجامعة، ثمّ محاضر في اللّغة السنسكريتية وعلم اللّغة الهندو أوروبية، ليثبت في الخدمة بعد خمسة عشر عامًا ثمّ أسنّادًا في علم اللّغة العام، مواصلاً بحوثه اللّغويّة إلى غاية وفاته عام 1913م.¹

وتعود شهرة فرديناند دي سوسير إلى مجموعة المحاضرات التي ألقاها على طُلابه في جامعة "جنيف" سنة 1907م-1911م في ثلاث فصول دراسية، التي جمعها إيتان من

¹ - ينظر: إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، ط1، 2007م-1427هـ، عمان، ص14، 15.

تلاميذه وهما "تشارلز بالي" (Bally) و"ألبرت شيهاي" (Albert Chehai). ونُشرت بعد وفاته في كتاب سنة 1916م تحت عنوان "محاضرات في علم اللغة العام"، لكنّ هذا الكتاب ذاع صيته وتُرجم إلى عدّة لغات منها الرّوسية والإنجليزية والألمانية.

وقد أبرز دي سوسير في مقدّمة هذا الكتاب مهمّة أساسية لكلّ علم يجب أن تعرف في ذاته ولذاته، وعلم اللّغة مهمّ بوجه خاصّ لأنّ كثير من العلوم من جهة تعني الإنسان باللّغة الإنسانيّة، ومن جانب آخر فإنّ علم اللّغة في خطر أن تمتصّه علوم أخرى خاصّة علم النّفس والفلسفة، فهو يوافق على الاحتكاك بتلك العلوم المجاورة، غير أنّ علم اللّغة يجب أن يقوم على المنهج العلميّ بتحديد موضوعه وخصائصه.¹

وقد كان سوسير متأثراً بأفكار غيره من النّحاة الجدد في الجامعة أمثال (Labizegh) "لابيزغ"، واللّغوي الأمريكي "ويتني" (Witni) و"بوداوندي" (Boudwandi) و"كورتني" (Kourtini).

وعلى العموم فإنّ أفكار سوسير أثّرت بشكل كبير على تطوّر مختلف مجالات العلوم الإنسانيّة والاجتماعية مثل الأنثروبولوجيا، علم الاجتماع، علم النّفس والأدب.

1- أهم المبادئ اللّسانية:

أ- **علمية اللّغة:** من أهمّ المبادئ التي ركّز عليها "دي سوسير"، حيث جعل اللّغة علماً قائماً بذاته. "فهو ذلك العلم الذي يدرس اللّغة الإنسانيّة دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن الأحكام المعيارية، وكلمة علم الواردة في هذا التعريف لها ضرورة

¹ - ينظر: إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص14، 15.

قصوى لتمييز هذه الدّراسة من غيرها، لأنّ أوّل ما يُطلَب في الدّراسة العلميّة هو اتّباع طريقة منهجية والانطلاق من أسس موضوعيّة يمكن التحقّق منها وإثباتها.¹

ونستخلص من هذا أنّ علم اللّغة هو الدّراسة العلميّة للّغة الإنسانيّة، وهذا بتحليل اللّغة بشكل منهجي، وبالاستناد إلى حقائق ملموسة بدلاً من الاعتماد على الأحكام الدّاتية، كما أنّه يقوم على وصف اللّغة كما هي ومعاينة الوقائع اللغويّة كما تظهر في الاستخدام الفعلي، أي بكيفية استخدامها في الواقع بدلاً من كيف ينبغي أن تكون اللّغة، بحيث أنّ هذا العلم لا يضع قواعد صارمة لكيفية استخدام اللّغة، بل يركّز على فهم وتحليل كيفية استخدام اللّغة بشكل طبيعي بين النّاس، وهذه الدّراسة اللغويّة تكون ضمن طريقة منهجية وأساليب موضوعيّة يمكن التحقّق منها وإثباتها.

ونصل إلى أنّ علم اللّغة هو مجال دراسة اللّغة بطريقة علميّة ومنهجية وموضوعية بعيداً عن التحيزات الشخصية، ويؤكّد على علمية التحقّق والاختبار في البحث اللغويّ.

وقدّمت الكثير من هذه التّعريفات «العلم (Science) بحث موضوعه دراسة طائفة معيّنة من الظواهر لبيان حقيقتها وعناصرها ونشأتها ووظائفها والعلاقات التي تربط بعضها ببعض، والتي تربطها بغيرها، وكشف القوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها». ² ومعنى هذا أنّ العلم يهتمّ بدراسة مجموعة معيّنة من الظواهر، ولكلّ علمٍ مجال خاص يركّز عليه، فعلم الفيزياء يدرس الظواهر الفيزيائية، بينما علم اللّغة يدرس الظواهر اللغويّة، وهدفه هو كشف حقيقة هذه الظواهر وتحليل عناصرها المختلفة ودراسة كيفية نشأتها وتطورها وفهم وظائفها، كدراسة نشأة الكائنات الحيّة ووظائف أعضائها، كما أنّ العلم يهتمّ بفهم العلاقات

¹ - أحمد قدور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، ط1، 1996، ص11.

² - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بين الظواهر المختلفة وكيفية تأثير بعضها على بعض، أي دراسة التفاعلات والتداخلات بين الظواهر المختلفة.

وعليه فإنّ العلم عمليّة منظمّة تهدف إلى دراسة مجموعة معيّنة من الظواهر لفهم حقيقتها وعناصرها ونشأتها ووظائفها والعلاقات التي تربطها.

وقد اختلفت اللّسانيات عن غيرها من العلوم عند الغربيين قبل القرن التّاسع عشر في الكثير من الخصائص، ومن أهمّ ما حدّده منها "جون ليونز" (John Lyons) أنّ اللّسانيات تتّصف بالاستقلال وهذا مظهر علميّتها، بينما النّحو التقليدي مرتبط بالفلسفة والمنطق ويخضع لهم غالباً، فاللّسانيات علم يهتمّ باللّغة المنطوقة أولاً ثمّ المكتوبة ثانياً، عكس ما اهتمّت به اللّغة التقليدية، كما أنّها تهتمّ باللّهجات لا على الفصحى مثلما كان سائداً من قبل، وتقوم أيضاً على بناء نظرية لسانية عامّة تمكّن من دراسة جميع اللّغات الإنسانية ووصفها دون التّفريق بين اللّغات البدائية واللّغات المتحضّرة جميعاً لأنّها تستحقّ الدّراسة دون تمييز.

إنّ اللّسانيات تدرس اللّغة على صعيد واحد ضمن تسلسل متدرّج من الصّوت إلى الدّلالة، اطلاقاً على الجوانب الصرفية والنحوية.

أمّا فرديناند دي سوسير يرى أنّ اللّسانيات تقوم بثلاث مهمّات:

1- «تقديم الوصف والتاريخ لمجموع اللّغات»¹. ويعني ذلك معرفة تاريخ اللّغات وإعادة بناء اللّغات الأمّ، فالوصف يتضمّن تحليل ودراسة اللّغة في نقطة زمنيّة معيّنة دون النّظر إلى تاريخها وتطوّرها، فيركّز هذا المنهج على وصف البنية الحالية للّغة بما في ذلك

¹ - أحمد قدور، مبادئ في اللّسانيات، ص12.

قواعدها -مفرداتها- أصواتها، والهدف هو فهم كيفية عمل اللّغة في تلك اللّحظة الزّمنية المحدّدة، ويشمل هذا المنهج تحليل الأصوات (الفونيمات)، والبنية النحوية -المعجم- والدلالات، وكذلك كيفية استخدام اللّغة في السّياقات الاجتماعية المختلفة.

أمّا التّاريخ فيتضمّن دراسة تطوّر اللّغة عبر الزّمن، ويركّز هذا النهج على التغيّرات التي تحدث في اللّغة بمرور الوقت مثل التغيّرات الصوتية والنحوية والدلالية، كما يهدف إلى فهم كيف تطوّرت اللّغة من مرحلة إلى أخرى وكيف أثّرت العوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية على هذا التطوّر.

وفي سياق اللّسانيات البنيوية عند "فرديناند دي سوسير"، الوصف يعني بالتحليل البنيوي للغة في نقطة زمنية معيّنة ممّا يتيح للباحثين فهم البنية الدّاخلية للغة وعلاقتها، وهذا يساعد في تتبّع مسار تطوّر اللّغة وفهم أصولها وتغيّراتها.

وعليه يمكن الجمع بين التّهجين: الوصف والتّاريخ، وذلك لفهم البنية الحالية للّغة وفهم تطوّرها التّاريخي ممّا يسمح للباحثين بالحصول على صورة شاملة عن اللّغة، ممّا يمكنهم من تحليل الأنماط والاتّجاهات اللغويّة بشكل أعمق.

ومثال ذلك اللّغة الإنجليزيّة، فهي من حيث الوصف: تحليل قواعدها الإنجليزيّة الحديثة ونظام أصواتها والمفردات المستخدمة في العصر الحالي، أمّا تاريخيا فقد تطوّرت اللّغة الإنجليزيّة من الأنجلو-سكسونية القديمة إلى الإنجليزيّة الوسطى، ثمّ الإنجليزيّة الحديثة مع مراعاة التغيّرات الصوتيّة والنحوية والمعجم.

2- «البحث عن القوى الموجودة في اللّغات كآفة وبطريقة شمولية متواصلة، ثمّ استخلاص القوانين العامّة التي يمكن أن ترد إليها كلّ ظواهر التّاريخ الخاصّة».¹ يمكن فهمه على أنّه يعبر عن سعي مستمرّ لاكتشاف وتحديد القوى أو العوامل المؤثّرة التي تتواجد في جميع اللّغات بشكل شامل ومنهجي.

وهذا يشير إلى دراسة اللّغة بطريقة تعترف بتعقيدها وتنوّعاتها المختلفة عبر الثقافات والزّمان بدلاً من التّركيز على لغة أو مجموعة لغات محدّدة، وبذلك يمكن فهم الدنيا بكيفيات العالمية التي تشكّل كيفية تطوّر اللغة واستخدامها في مختلف المجتمعات.

3- «تحديد نفسها والاعتراف بنفسها».² وهذا يعني أنّ اللّسانيات يجب أن تحدّد بوضوح دراستها، فاللّغة باعتبارها نظاماً من الرّموز والإشارات التي يستخدمها النّاس للتّواصل، وهذا يتضمّن تحديد العناصر الأساسيّة للغة مثل الصوتيات، النحو والدلالة، وتحليل كيفية عمل هذه العناصر معاً، ويشير أيضاً إلى أنّها تعترف بنفسها أي بدورها ومكانتها كعلم مستقلّ ومنهجي، فيجب على اللّسانيات أن تعترف بحدودها ومجالاتها وألّا تتجاوز هذه الحدود إلى مجالات أخرى غير لغوية مع تأكيد منهجيتها الخاصّة في دراسة اللّغة وتحليلها.

لقد شهد القرن التاسع عشر ثلاث تطوّرات في مسيرة علم اللّغة وتتمثّل في:

1- اكتشاف اللّغة السنسكريتية: وذلك على يد (ويليام جونز / W.Jones)، حيث أعلن عن أهميّة هذه اللّغة للبحوث اللّغوية الأوروبيّة، حيث يقول جونز أنّ اللّغة السنسكريتية

¹ - أحمد قدور، مبادئ في اللسانيات، ص12.

² - المرجع نفسه، ص13.

مهما كانت قديمة فهي أكمل من الإغريقية وأغنى من اللاتينية، فهي ذات ثقافة أرقى من هاتين اللغتين، لكنّ هذه الثّلاث يعترف بأنّها تتفرّع من أصل مشترك زال من الوجود.¹

وعمد (شليجل / F.Schlegel) في كتابه "لغة الهند" يشرح فيه نظرية (جونز / W. Johnes)، كما صدرت مجموعة من الكتب التي قامت بدراسة اللّغة السنسكريتية، وكانت باريس مركز هذه الدّراسات استقطبت الكثير من باحثي ألمانيا وإنجلترا، وقد اعتمدت هذه الدّراسات على أسلوب المقارنة.

2- القواعد المقارنة: لقد شاع أسلوب المقارنة قبل ظهور كتاب (بوب / Bopp)

المعروف في نظام تصريف اللغة السنسكريتية ومقارنته بالأنظمة الصّرفية المعروفة في اللّغات اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية، ويلاحظ تأثير أصحاب المقارنات اللغوية بالمفردات والمصطلحات الشائعة في البحوث الطبيعية تأثيرًا كبيرًا، حيث ظهرت مفردات وألفاظ لم تكن موجودة من قبل مثل: (الجهاز العضوي، الرشيم، الجذور...)².

وأشهر من طبّق الأسلوب المقارن في الدّراسات اللغوية في تلك الفترة (شليجل / F. Shlegel) الذي قام بدراسة الحضارة الهندية وصنّف اللّغات واكتشف العلاقات التي تربط اللّغات الأوروبية والهندية والآرية ببعضها البعض.

وكذلك يعتبر (بوب / Bopp) من مؤسسي القواعد المقارنة، حيث بحث في هذا المجال نصف قرن من الزّمن بعد دراسته لمجموعة من اللّغات في هذا المجال، نصف قرن من الزّمن بعد دراسته لمجموعة من اللّغات كالفارسية والعربية والعبرية والسنسكريتية وبعض اللّغات الأوروبية، وكان يهدف إلى المقارنة بين اللّغات والموازنة بينها.

¹- ينظر: أحمد قدور، مبادئ في اللسانيات، ص13.

²- ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر والتوزيع، ط2.

وهناك من شارك (بوب / Bopp) في أسلوب المقارنة (ماكس مولر / M. Muller) و(جورج كوتيسوس / G. Curtuis) و(أوغست شليشر / A. Schlaicher) وذلك حسب طريقته.¹

3- علم اللّغة التّاريخي: ظهر بتطوّر الأسلوب المقارن الذي يعتمد على العلميّة في رصد التطوّر التّاريخي بأسلوب جديد، حيث تخلّى على القرابة اللغويّة بل بمعرفة جميع التطوّرات اللفظيّة في اللّغة من خلال تاريخها، وقد فرّق اللّغويون بين الأسلوب المقارن والتّاريخي بعد سنة 1876م مع بقاء بعض التّشابه بينهما، ومن أهمّ اللّغويين الذين اهتمّوا بوضع القواعد التّاريخية (غريم ويدز / G.Diez) و(شليشر / A. Schlaicher).

يُعتبر علم اللّغة التّاريخي فرعاً من فروع علم اللّغة الذي يركّز على دراسة تطوّر اللّغات عبر الزّمن، ويهدف هذا العلم إلى فهم كيفية تطوّر اللّغات وتحولها من خلال تحليل التغيّرات الصّوتية والنحوية والمعجمية والدلالية التي تحدث فيها.

فهناك تغيّرات صوتيّة مثل تحوّل الأصوات في اللّغة عبر الزّمن، كتحوّل الأصوات الساكنة أو المتحرّكة، وكيف تؤثر على النطق، وكذلك هناك تغيّرات نحويّة كدراسة كيفية تغيّر القواعد النحويّة عبر الزّمن واستخدام حالات نحويّة جديدة أو اختفاء أخرى.

أمّا التغيّرات الدلالية فهي دراسة كيفية تغيّر معاني الكلمات والتّعبير عبر الزّمن، وكيف يمكن أن تتطوّر معاني الكلمات نتيجة للتغيّرات الاجتماعية والثّقافية.

وليس هذا فقط، فإنّ علم اللّغة التّاريخي يبحث في العلاقات بين اللّغات المختلفة، من خلال دراسة الأصوات المشتركة والتفرّعات اللغويّة، وكذلك إعادة بناء اللّغات البدائية التي لم

¹ - أحمد قدور، مبادئ في اللسانيات، ص15.

تكتب أبدأ من خلال مقارنتها بالحديثة، وكذا دراسة كيفية تأثير اللغات على بعضها البعض من خلال التفاعل الثقافي.

يمثل علم اللسان الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري، أي دراسة الظاهرة المشتركة بين البشر. فاللسان البشري ظاهرة معقدة ودراسته تكون من جوانب مختلفة؛ الجانب الاجتماعي والنفسي والفيزيولوجي وكذا الفيزيائي، تتكفل بها عدة علوم كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الصوت الفيزيائي، وفيزيولوجيا الأعضاء، وعلم اللسان لا ينظر إلا في خصائص هذه العلوم الذاتية، وهذا ما حدده في قوله «دراسة اللسان منه وإليه»¹. أي من أجله ولذاته بهدف معرفة العناصر المشتركة لظاهرة اللسان البشري، وهذا من منظور علمي بحت، مع التركيز على البنية والتنظيم الداخلي للغة عن طريق تحليل العناصر الداخلية للغة نفسها بدلا من النظر إلى اللغة من الخارج أو من خلال تأثيرات خارجية.

وهذا ما يعكس أهمية "دي سوسير" في تحوّل دراسة اللغة إلى علم يعتمد على تحليل البنية والأنظمة الداخلية للغات، ممّا أدّى إلى تأسيس مدارس فكرية لاحقة مثل البنوية والسيمائية.

كشف "سوسير" عن الحقائق اللسانية ومبادئ طوّرت مفاهيم الدراسات اللغوية ومنهجها، حيث أنّ بعض هذه الأسس يتعلّق بكيفية معالجة الظواهر اللغوية، والبعض الآخر بخصائص اللسان نفسه كونه ظاهرة منطوقة، «فأعطى علماء اللسان الأولوية لدراسة هذا المظهر الصوتي، ولم يعتبر دراسة الصورة المكتوبة للسان إلاّ فرعاً للدراسات اللسانية»².

¹ - خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، ط2، ص09.

² - المرجع نفسه، ص11.

وهذا يعني أنّ اللغة تتجلى في المقام الأوّل عبر الأصوات التي تصدرها قبل أن تكون اللّغة مكتوبة أو مرئية هي أولاً صوتية ومنطوقة، فالناس يتحدثون قبل أن يتعلّموا القراءة والكتابة، والأطفال يتعلّمون الكلام عن طريق الاستماع والتقليد.

ويعتبر "فرديناند دي سوسير" الأب الحقيقي للّسانيات لأنّه وضّح اختصاصها ومناهجها وحددها، وزوّد الدّراسات اللّسانية بالكثير من الأفكار اللغويّة حتّى أصبحت سبباً لنهضة علمية انبثقت عنها مختلف العلوم الحديثة، كما أنّه وضع منهجية التحليل اللغوي وبحث في العوامل المؤثّرة في النّشاط اللغوي النفسي والاجتماعي والجغرافي».¹

ب- بنية اللغة:

البنية لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: «تعني تكوين الشّيء والكيفية التي شيد وبني عليها».²

البنية اصطلاحاً: «فهي مجموعة مركّبة من العناصر المتماسكة والمتداخلة فيما بينها، بحيث تعكس فكرة الانفرادية، ويتوقّف كلّ عنصر على بقية العناصر الأخرى، والبنية أو النّظام ينعلم بانعدام الانسجام والتّرابط لأنّه بهذه الحالة تصبح العناصر غير خاضعة لمنطقية الرّبط، فالنّظام أو البنية المنسجمة تنتج نسفاً تفسّره العلاقات والرّوابط بين عناصر هذا النّظام، ويعتبر فهم النّظام ودراسته دراسة آنية موضوعية صلب المنهج الذي بدأه دي سوسير».³

¹ - ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ في اللّسانيات، ص16.

² - ابن منظور، لسان العرب، مكتبة نور الإلكترونية، دار المعارف، 2016.

³ - عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيات واللغة العربية، الرباط، 1986م، دار توبقال للنشر، ص08.

فاللغة عند "دي سوسير" ليست وحدها نظامًا، ففي حال المتكلم المفرد والواقعة اللغوية المعيّنة أيضًا يجب أن يوجد التزام بنظام، وهذه الأنظمة يجب أن تكون متساوية تقريبًا لدى المتكلمين أو المستمعين الفرادى حين تقوم اللّغة بوظيفة "وسيلة الإفهام"، ويعني ذلك أنّ الموضوع الأساسي لدراسات علم اللّغة وهو اللّغة بمعنى اللّغة المعينة، فلا يجوز أن تكون الموضوع الوحيد للدراسة، فوقائع الكلام يجب أن يبحث فيها، وفضلاً عن ذلك لا توجد اللّغة في ذاتها بل لا يوجد دائماً إلاّ الكلام المحدد.

كما أنّ "دي سوسير" قارن اللّغة المعينة السنفونية الكلام بالعزف المحدد، وهذه المقارنة لم تكن موفقة، فإذا ما أقيمت هذه المقارنة بالموسيقى فمن الصّواب أن تقارن اللغة المعينة بالمعرفة التأليفية، أي القواعد التي تنشأ وفقاً لها.

ومن منظور آخر يجب أن ينظر إلى تفسير "سوسير" لثنائية التّزامن والتّعاقب في السّياق التّاريخي العلمي، فهو لم يطالب مطلقاً بالاشتغال فقط بعلم اللغة التّزامني.

ومن المؤكّد أنّ لبّ نظرية "سوسير" هو فهم اللّغة على أنّها نظام علامات متماسك العناصر، كلّ عنصر فيه يتحدّد من خلال موقعه في الشبكة الكلية للعلاقات، وكلّ علامة مفردة تحصل على قيمتها من خلال هذه الشبكة.

لقد قدّم "فرديناند دي سوسير" مفهوماً لبنية اللّغة في إطار علم اللّسان البنيوي، فاللّغة تتكوّن من نظام معقّد من العلامات، ومن أبرز مكوّنات بنية اللّغة عند سوسير الدال والمدلول، اللّغة والكلام، التّزامنية والتّعاقبية، الفونيمات، التباين والتراكيب. فبنية اللّغة عند سوسير تعدّ جزءاً أساسياً من اللّسانيات البنيوية وتعدّ إطاراً لفهم كيفية عمل اللغة كنظام من العلاقات الداخلية المعقّدة.

وهدف اللّساني هو الكشف عن هذا النّظام وهذه البنية اللغويّة، وبالتالي "دي سوسير" رغم أنّه لم يستعمل مصطلح البنية إلّا ثلاث مرات مستبدلاً إيّاه بمصطلح النّظام الذي استعمله 138 مرّة، وضع أسسا أولى للدراسة البنيوية الألسنية الطبيعية وأصبح مفهوم البنية مفهوماً محورياً، بل جميع العلوم تستعمله في دراستها، وصار الاتّجاه البنيوي هو الطّاعي على المعرفة الإنسانيّة.

ومعنى هذا أنّ الاتّجاه البنيوي له تأثير في مختلف العلوم الإنسانيّة والاجتماعية والبنيوية هي منهجية تحليلية تركّز على فهم البنية الداخليّة للنّصوص والمجتمعات، وكيف تتفاعل أجزائها لتشكل الكلّ.

ومن جملة المميّزات التي أقرّها "دي سوسير" عند وصفه للّسان بصفته موضوع اللّسانيات أنّه بني على نظام مخصوص، أي أنّه منظمّ تنظيمياً باطنياً محكماً، وعلى العالم اللّساني أن يكتشف أسرار هذه البنية. ومعنى هذا أنّ كلّ الأشياء الموجودة على وجه الأرض لها بنية خاصّة بها دون سواها، فالبنية مفهوم علمي تفسّر الظواهر وتدرّك الأشياء.

وفي هذا المعنى يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: «البنية وسيلة من الوسائل لحصر الجزئيات، ولولا البنية لما استطاع الإنسان أن يفكر، بل لما استطاع أن يدرك الإدراك الحسيّ الظواهر والأمور التي حوله»¹.

ومعنى هذا أنّ الإنسان يدرك الأشياء التي من حوله بواسطة معرفة بنيتها ومكوناتها وجزئياتها، وبها يدركها إدراكاً حسياً. والجديد أنّ اللّسانيات الحديثة تنظر إلى اللّسان نظرة كلية، فهو يتشكّل من وحدات لغويّة مرتبطة بالوحدات الأخرى بواسطة علاقات صورية مبنية على أساس اتّحاد هويات هذه الوحدات التي تشترك فيما بينها في بعض المميّزات وتختلف

¹ - خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، ص16.

في البعض الآخر. وهذه الوحدات لا تكتسب هويتها داخل النّظام اللّغوي إلاّ عند مقابلتها بغيرها عكس ما كانت عليه في القرن التاسع عشر، حيث كانت تهتمّ بالجزئيات والأحداث اللّغويّة لذاتها منعزلة عن بعضها البعض.

وخلاصة القول استطاع "سوسير" من خلال هذه المصطلحات والثّنائيات المستحدثة أن يؤسّس لدرس لغوي معاصر غير نظرة الباحثين لمفهوم اللّغة ومناهج دراستها، ولعلّ الدّرس الوصفي لبناها المختلفة هو ما فتح المجال أمام الكثير من الدّارسين للتعمّق في تلك البنى وتلك الثّنائيات، ما سمح بتطور الدّرس اللّغوي وظهور الكثير من المدارس اللّغوية الأخرى الموافقة لآراء "دي سوسير" والمخالفة له في البعض الآخر، وهذا ما خدم علم اللّسان وطوره.

ج- مستويات اللّغة:

قبل أن نقوم بدراسة مستويات اللّغة، توجّب علينا قبل ذلك أن نتعرّف على اللّغة الإنسانية التي لها الكثير من التعاريف والأشمل منها هي: «اللّغة ظاهرة بيولوجية، اجتماعية، ثقافية، مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، اكتسبت عن طريق الاختيار معاني مقرّرة في الدّهن، وبهذا النّظام الرّمزي الصّوتي، تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل»¹.

ونستخلص من هذا أنّ اللّغة ليست ظاهر بيولوجية تعتمد فقط على الأعضاء، بل هي شيء يكتسبه الإنسان من خلال التّفاعل مع المجتمع والثّقافة المحيطة به، وهذا يعني أنّ الفرد لا يولد وهو يعرف لغة معيّنة، بل يتعلّمها من محيطه وليست ميزة وراثية أو فطرية في الإنسان، بل هي مهارة يكتسبها الفرد من خلال التعلّم والتّفاعل مع الآخرين في المجتمع، فهي تتكوّن من رموز أو وحدات لغويّة من أجل التّواصل، وهذه الرّموز الصّوتية لها معاني

¹ - أنيس فريحة، نظريات في اللّغة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م، ص14.

محدّدة متّفق عليها بين أفراد المجتمع، وبهذا النّظام الرّمزي الصّوتي يمكن لأفراد المجتمع التّواصل والتّفاهم مع بعضهم البعض، هذا التّفاعل يمكن أن يكون نفسياً (سيكولوجياً)، حيث يساعد في بناء العلاقات الاجتماعية والنفسية بين الأفراد.

تتميّز اللغة بشكّلين: اللغة الملفوظة واللّغة المكتوبة، وبها يستطيع الفرد إيصال أفكاره للغير، وتنتقل الأشياء التي تقع عليها الحواس على مستوى الدّهن، فكلّ المشاهد والصّور الموجودة تنتقل عن طريق الكتابة إلى الدّهن أو عن طريق اللّفظ، فاللّغة تربط بين الحياة والفكر. وللّغة مستويات عديدة تتمثّل في:

1- المستوى الصّوتي:

هو مستوى من مستويات اللّغة، اختصاصه البحث في الأصوات ومخارجها، ومن ثمة كيفية تكوّنها وأنواعها والصفّات المميّزة لها، والطّريقة الصّحيحة في نطقها، وكذلك تحوّلها وتمائلها ووظائفها، والبحث في مقاطعها الصّوتية من حيث النّبر والتّنعيم.

وهو «علم يدرس الحروف من حيث هي أصوات، فيبحث في مخارجها وصفاتها وطريقة نطقها وقوانين تبدّلها وتطوّرها في كلّ لغة من اللّغات القديمة والحديثة»¹. فهذا الفرع يهتمّ بجوانب عدّة من الصّوت اللّغوي، من بينها كيفية إنتاج الأصوات بواسطة الجهاز الصّوتي البشري وكيفية انتقال هذه الأصوات عبر الهواء وكيفية استقبالها وتفسيرها من قبل السّامعين.

¹ - عبد المومن أبو العسل وآخرون، مستويات اللغة العربية، ط1، دار الصفاء، عمان: 2000م، ص10.

يُعتبر الصّوت ظاهرة فيزيائية عامّة الوجود في الطّبيعة، فهو يتمثّل في كلّ الأصوات التي تخرج من الجهاز الصّوتي لدى البشر والتي يدرها السّامع بحاسة السّمع، فهو المقوم الماديّ وأصغر قطعة في اللّغة.

والعلم المختصّ في دراسة الصّوت هو علم الصّوتيات، والذي يعتبر فرع من فروع اللّسانيات وهو علم يدرس الأصوات اللغويّة دراسة علميّة باستعمال الأجهزة والمخابر، وتتفرّع الدّراسة الصّوتية إلى ثلاث مراحل:

1- إصدارات الأصوات اللغويّة.

2- إرسال هذه الأصوات بواسطة موجة واهتزاز صوتي عبر الهواء.

3- إدراك هذه الأصوات بواسطة الأذن.¹

فالمرحلة الأولى هي مرحلة إخراج الصّوت ونطقه باستخدام كلّ أعضاء الجهاز الصّوتي، حيث تبدأ بتنفّس الهواء إلى الرئتين (Respiration)، عند التحدّث يتمّ طرد الهواء من الرئتين عبر القصبة الهوائية إلى الحنجرة، فيمرّ الهواء عبر الحبال الصوتية، فإذا كانت متقاربة تهتزّ فيتمّ إنتاج الصّوت، وبعد مرور الهواء عبر الحنجرة يدخل إلى الفم والأنف حيث يتمّ تشكيل الأصوات المختلفة، وهذا كلّ عن طريق عمليات مختلفة مقرّها مكان النّطق وطريقة النّطق وخصائصه، وهذا عبر الأعضاء المختلفة في الفم والأنف، ويتمّ تعديله بتغيير شكل حجم تجويف الفم والأنف.²

¹ - خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص44.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص47.

أمّا المرحلة الثّانية هي مرحلة الإرسال الّتي تظهر من خلالها الاهتزازات الصّوتية والبنية الفيزيائية للأصوات.

وبالتّحديد يكون ذلك في الفونيتيكا الصّوتية، فهذه المرحلة تتناول كيفية انتقال الأصوات الّتي تنتجها بأعضاء النّطق عبر الهواء حتى تصل إلى أذن المستمع، ويتشكّل الصّوت في الفم والأنف عند انتقال الاهتزازات الصوتية عبر البلعوم بواسطة الأعضاء النطقية مثل: اللسان، الشّفاة، الأسنان، والحنك، فنتج موجات صوتية تنتشر عبر الهواء والّتي تُقال بالهرتز (H Z) أي درجة الصّوت.

فنقول أنّ مرحلة إرسال الصّوت بواسطة موجات واهتزازات صوتية عبر الهواء تتعلّق بكيفية انتقال الأصوات المنتجة في الفم والحلق عبر الهواء إلى أذن المستمع، وكيف يتمّ استقبال ومعالجة هذه الأصوات في الأذن والدماغ لفهمها والتفاعل معها.

وفي الأخير مرحلة الإدراك، وذلك عن طريق الجهاز السّمي أي الأذن، فهي عملية معقّدة تتضمّن تحويل الموجات الصوتية إلى إشارات عصبية يمكن للدماغ تفسيرها وفهمها، فنعرّف هذه المرحلة بالفونيتيكا السّمية، حيث تبدأ باستقبال الصّوت فتنقل الموجات الصّوتية عبر الهواء وتصل إلى الأذن الخارجية فتهتزّ طيلة الأذن وتتسبّب في اهتزازها، هذه الاهتزازات تنتقل من طيلة الأذن إلى العظيّمات الثلاث في الأذن الوسطى، هذه الأخيرة تعمل على تضخيم الاهتزازات الصوتية ونقلها إلى الأذن الداخلية، وبانحناء الخلايا الشعريّة تحول الاهتزازات الميكانيكية إلى إشارات كهربائية، والّتي يتمّ نقلها عبر العصب السّمي إلى

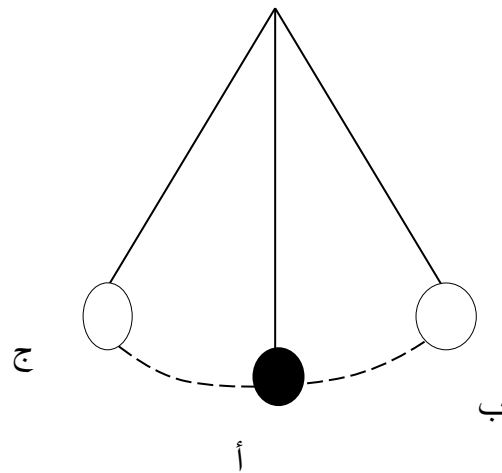
الدّماغ، فيتمّ تحليل خصائص الصّوت وأنماطه المعقّدة مثل الجمل والكلمات، وتفسير المعاني اللغويّة بناءً على السّياق.¹

وخلاصة القول؛ إدراك الأصوات بواسطة الأذن يشمل استقبال الموجات الصّوتية، نقلها وتحويلها إلى إشارات عصبية ومعالجتها في الدّماغ لفهمها والتّفاعل معها، هذه العملية تعتمد على التّكامل بين الأجزاء المختلفة للأذن والدّماغ، وتلعب دوراً حيويّاً في التّواصل والتّفاعل البشري.

وروافد هذا العلم علمان هما علم الصّوت العام الذي يهتمّ بظاهرة الصّوت، واللّسانيات التي تهتمّ بالدراسة العلمية للّسان.

فالصّوتيات الفيزيائية تعمل على اكتشاف الخصائص الفيزيائية للاهتزازات وتموجات الصّوت اللّغوي، وكذلك بالأصوات اللغوية عند خروجها، وتتميّز هذه الأصوات اللغويّة بخصائص فيزيائية محضة، وأخرى فيزيائية نفسية. فالأولى صفات موضوعية راجعة إلى طبيعة الظّاهرة الصّوتية نفسها، فهناك الدّورية منها والأصوات الغير الدورية، فإذا حدثت الحركة الاهتزازية في فترات متساوية كحركة النّواس فهي دورية، كالنحو التالي:

¹ - خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، ص48.



الشكل رقم 1: يوضح الحركة الحركية الاهتزازية للصوت

وعندما نصوّر هذه الحركة بواسطة المهزاز فتظهر على شكل منحنى جيبي وتكون غير دورية إذا لم تقع في فترات غير متساوية. كما أنّ للصوت مميّزات أخرى كالتردد وسعة الاهتزاز وشدّته، وكذلك من حيث بساطتها وتركيبها.

أمّا الصّفات الفيزيائية فهي صفات ذاتية تتوقّف على العملية الإدراكية الحسيّة والنّفسيّة من حيث درجة الصّوت وجرسه وشدّته المدركة وصداه.¹

وفي الأخير نصل إلى أنّ دراسة هذه الظواهر التي يتولّاها فرع من الدّراسات الصوتية يُسمّى (Prasodie) فلم يبلغ فيها الاهتمام الحدّ الذي بلغه في الدّراسات الصوتية الأخرى.

2- المستوى الصّرفي Morphologie level:

يهتمّ المستوى الصّرفي في اللّسانيات بدراسة بنية الكلمات وتحليلها إلى مكوناتها الأساسية. ومن أهمّ التعريفات لهذا المستوى الصّرفي:

¹ - ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، 46.

«هو علم بأصول تُعرَف بها صيغ الكلمات العربية وأحوالها التي ليست بإعراب ولا بناء، فهو يدرس الكلمة المفردة وما يطرأ من تغيّرات على صورتها الملحوظة من حيث حركتها وسكونها وعدد حروفها وترتيب هذه الحروف»¹. ومعنى هذا أنّ علم الصّرف فرع من فروع علم اللّسان الذي يهتم بدراسة بنية الكلمة وتحليلها إلى مكوناتها الأساسية، مع التّركيز على التغيّرات التي تطرأ على شكل الكلمة بدون أن تتعلّق بالإعراب أو البناء النّحوي، فهو يركّز على الكلمات المفردة وكيف تتغيّر أشكالها، وهذه التغيّرات تشمل الحركات (التشكيل)، وعدد الحروف وترتيبها، ويدرس كيفية تغيّر حركة حروف الكلمة وكيف يمكن أن يتغيّر عددها عند الاشتقاق أو التصريف، وتأثير ذلك على معنى الكلمة.

فالتّصريف هو تغيير شكل الفعل ليناسب مع الزّمن أو الشّخص أو العدد مثل: "كتب" ماضي، "يكتب" مضارع، "اكتب" أمر.

والاشتقاق هو إنشاء كلمات جديدة من جذر معيّن، مثل: "علم" ← "عالم" (اسم فاعل)، ← "معلوم" (اسم مفعول).

أما التغيّرات الصّوتية مثل إضافة الحركات أو تغيير ترتيب الحروف مثل: "كتاب" جذر، "كتاب" (جمع)، "كُتِبَ" (تصغير).

فلا ننكر أنّ لعلم الصّرف أهمية كبيرة في اللّغة، فهو يساعد على فهم كيف تتشكّل الكلمات وكيف تتغيّر أشكالها، كما أنّه يوفرّ قواعد واضحة لتعليم كيفية تكوين الكلمات وتصريفها وتحليل النّصوص ومعالجة اللّغات الطبيعية وتطوير التّرجمة، كما أنّ هذا العلم يعد ذاته يساعد في تحسين الكتابة الصّحيحة وفهم القواعد اللغوية بشكل أعمق.

¹ - عبد المومن أو العسل وآخرون، مستويات اللغة العربية، ص110.

3- المستوى النحوي:

المستوى النحوي للغة هو فرع من فروع اللّسانيات الذي يهتم بدراسة قواعد تركيب الجمل والبنية النحوية للغة، وتنظيم الكلمات لتكوين عبارات وجمل صحيحة نحويًا، وكيفية ارتباط هذه الكلمات ببعضها البعض ضمن الجملة لتحقيق المعنى المطلوب.

عرّفه البعض على أنّه: «ميدان علم النّحو هو الجملة، ودراسة عناصرها وتركيبها، ويحتّم نظام العربية ترتيبًا خاصًا لو اختلف لأصبح من العسير أن يُفهم المراد منها، فالنّحو أو الإعراب علم بأصول تعرّف بها أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء، أي من حيث ما يعرض لها في حالة تركيبها، فيه نعرف ما يجب أن يكون عليه آخر الكلمة من رفع أو نصب أو جر أو جزم أو لزوم حالة واحدة بعد انتظامها في الجملة»¹. ونستنتج من هذا أنّ علم النّحو يركّز على الجملة كوحدة أساسية في اللّغة، ويدرس العناصر المكوّنة لها مثل الأسماء والأفعال والحروف وكيفية ترتيب هذه العناصر داخل الجملة، ويفرض نظام اللّغة قواعد معيّنة يجب اتّباعها لضمان صحة الجملة للتعبير عن المعنى المقصود بشكل دقيق.

فعلم النّحو يدرس القواعد التي تحدّد كيفية تصريف الكلمات (الإعراب)، وكيفية تركيبها داخل الجملة (البناء)، وتغيير شكل ومعنى الكلمات داخل الجملة ومعرفة نهاية الكلمة كالرفع والنّصب والجرّ والجزم.

فهناك ترتيبات نحويّة معيّن يجب الالتزام بها، فإذا اختلفت يصبح من الصّعب فهم الجملة بشكل صحيح، أي أنّ عدم اتّباع قواعد النّحو يؤدّي إلى جمل غير مفهومة أو خاطئة.

¹ - عبد المومن أبو العسل وآخرون، مستويات اللغة العربية، ص11.

فهذا العلم يضمن صحّة الجمل من حيث تكوينها تكويناً نحوياً صحيحاً، ممّا يضمن وضوح المعنى والدقّة في التّعبير، كما أنّه يعين على فهم المعاني الدّقيقة بين الكلمات داخل الجملة، وهذا كلّهُ يؤدّي إلى تعليم اللّغة، حيث يمكن للمتعلّمين فهم كيفية تركيب الجمل واستخدام الكلمات بشكل صحيح، ويسهم أيضاً في الترجمة الدّقيقة للّغات والحفاظ على التّركيب النّحوي الصّحيح.

ونصل في الأخير إلى أنّ علم اللّغة النّحوي يدرس الجمل وعناصرها وتراكيبها بالتركيز على حالات الكلمات من حيث الإعراب والبناء ونهاية الكلمات في الجمل المختلفة، ممّا يساعد على تكوين جمل صحيحة ومعبرة عن المعنى المطلوب، كما يضمن فهم النّصوص بسهولة ويمنع حدوث اللّبس.

4- المستوى الدّلالي:

المستوى الدّلالي للّغة هو أحد المستويات اللغوية التي تهتمّ بدراسة المعنى في اللّغة، يتناول هذا المستوى كيفية تمثيل المعاني وفهمها وتفسيرها في الكلمات والجمل والنّصوص. «فالكلمة هي القطعة التي تدرج في المستوى الأول من التقطيع المزدوج، حيث إنّها أصغر قطعة يصل إليها التحليل ممّا يدلّ على معنى»¹. أي أنّ الكلمة هي الوحدة الأساسية في التقطيع المزدوج، وهي أصغر وحدة لغوية تحمل معنى تحليل اللّغة، نجد أنّ الكلمة هي أصغر عنصر يمكن تحليله ويظلّ محافظاً على دلالاته. وهذا يعني أنّ الكلمات تشكّل اللبنة الأساسية التي تتكوّن منها الجمل والعبارات، وبالتالي هي الأساس في تكوين المعنى.

وفي التقطيع المزدوج، المستوى الأول يتعلّق بالكلمات، والمستوى الثاني يتعلّق بالأصوات أو الحروف التي تتكوّن منها هذه الكلمات ككل تحمل معنى معيّن، وعند تقسيمها

¹- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص85.

إلى أصوات أو حروف قد نفقد هذا المعنى المحدّد. ومثال ذلك كلمة "كتاب" تحمل معنى محدّد، ولكنّ تقسيمها على أصوات "ك"، "ب"، "أ"، "ب" لن يحمل نفس المعنى.

لذلك الكلمة هي أصغر وحدة لغوية تحافظ على معنى كامل، وتندرج في المستوى الأول من التقطيع المزدوج في التحليل اللّغوي.

وعُرفت الكلمة أيضاً أنّها: «أداة الدّلالة هي الكلمة، وهذا العنصر من عناصر اللّغة يدرس المعاني سواءً معاني الألفاظ أو الجمل أو العبارات، كما تدرس التطوّر الدّلالي، أسبابه وقوانينه وأنواعه وخواصه وعوامله»¹. ومعنى هذا أنّ الكلمة هي الوسيلة الأساسية التي نستخدمها لنقل المعاني والأفكار ودراسة المعاني، تشمل تحليل وفهم معاني الكلمات والجمل والعبارات، بمعنى آخر تهتمّ بمعرفة كيف يمكن للكلمات أن تحمل دلالات مختلفة اعتماداً على السّياق الذي تستخدم فيه.

أمّا التطوّر الدّلالي فهو يركّز على كيفية تغيّر معنى الكلمات عبر الزمن، يتضمّن دراسة أسباب هذا التغيّر والقوانين التي تحكمه وأنواعه المختلفة، خصائصه والعوامل التي تؤثر عليه.

«وتُسمّى الكلمة في اللّسانيات الحديثة لدى الفرنسيين أمثال مارتيني (Martinet) (المونيم / Monème)، وعند اللّغويين الأمريكيين (المورفيم / Morphème)»².

تختلف نظرة الفرنسيين والأمريكيين إلى مفهوم الكلمة والمكوّنات الأصغر منها، ويظهر ذلك في استخدام مصطلحات مثل "مونيم" و"مورفيم".

¹ - عبد المومن أبو العسل وآخرون، مستويات اللغة العربية، ص 11.

² - خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيات، ص 85.

فالمونيم في النظرية اللّغوية الفرنسية يستخدم "مونيم" (Monème) للإشارة على أصغر وحدة لغوية تحمل معنى، فيعتبر (أندريه مارتيني / André Martinet) من أبرز اللّسانيين الفرنسيين الذين استخدموا هذا المصطلح، حيث يتم تقسيم الكلمة إلى وحدات أصغر تُسمى "مونيمات"، كل "مونيم" يحمل دلالة معيّنة، سواءً كانت دلالة معجمية (مثل الجذر) أو دلالة نحوية مثل (اللّواحق والزوائد).

ومثال ذلك كلمة "الكتابة"، يمكن تحليلها إلى المونيمات التالية: "كتاب" (الجذر) و "ة" (لاحقة تشير إلى اسم الفعل).

وعند (بلومفيلد / Blomphild) وغيره من الأمريكان، فمصطلح "مورفيم" يستخدم بنفس المعنى تقريباً، أي أصغر وحدة تحمل معنى فينظر إلى الكلمة على أنها تتكوّن من مورفيمات وكما مورفيم يمكن أن يكون جذراً أو لاحقة أو بادئة أو حتى جزءاً داخلياً يضيف معنى معيّناً للكلمة.

ومثال ذلك كلمة (Unhappiness): يمكن تحليلها إلى المورفيمات التالية:

Un: بادئة نافية.

Happy: جذر يحمل المعنى الأساسي.

Ness: لاحقة تحوّل الصّفة إلى اسم.

وعليه فإنّ الفرق بين "المونيم" و"الفونيم" هو أنّ المونيم هو المصطلح المفضّل لدى اللّسانيين الفرنسيين، وهو جزء من التّراث اللّغوي الفرنسي، أمّا "المورفيم" هو المصطلح المستخدم في اللّسانيات الأمريكية، وغالباً ما يستخدم بشكل أكثر شيوعاً على نطاق عالمي.

وفي كلّ الأصوات، فإن استخدمنا "مونيم أو مورفيم" فإنّ الفكرة الأساسية هي نفسها: تحليل الكلمات إلى وحدات أصغر تحمل معنى، والاختلاف يكمن في المصطلحات واستخدامها حسب التقاليد اللغوية لكلّ مجموعة من اللّسانيات.

د - ثنائيات دي سوسير:

الثنائيات في نظرية فرديناند دي سوسير هي مفاهيم متقابلة تُستخدم لتحليل البنية اللغوية، فدي سوسير كان أحد مؤسسي علم اللسان الحديث وقدم العديد من الأفكار الثورية حول كيفية فهم اللغة كبنية ونظام، وقد طرح دي سوسير مجموعة من الثنائيات التي بنى عليها أفكاره، والتي عرضها في ثنايا محاضراته من أهمّها:

1- ثنائية اللغة والكلام: حيث فرّق سوسير في هذا الشأن بين ثلاث مصطلحات:

(اللغة / Langage)، (اللسان / Langue) و(الكلام / Parole).¹

فاللغة (Langage) تمثل النظام الاجتماعي للرموز والقواعد التي تشترك فيها مجموعة معينة من الناس، فهي بنية ثانية نسبية، وموحّدة لمجموعة من الأفراد الذين يتحدّثون نفس اللغة، فهي تتكوّن من مجموعة من القواعد النحوية والمفردات والعلاقات بين الكلمات والمعاني التي تتعلّمها وتشاركها الجماعة.

فاللغة هي نظام اجتماعي يتكوّن من رموز وقواعد مشتركة بين أفراد جماعة معينة، فهي ليست مجرد وسيلة للتواصل الفردي بل هي جزء من ثقافة ومجتمع كامل، حيث تمثّل بنية ثابتة نسبياً لأنها موحّدة بين أفراد المجتمع الذين يتحدّثون بها، هذه الأخيرة تتضمّن

¹ - مسلك الدراسات العربية، اللسانيات، المجلة: Ahla Montada، من طرف حشادي، ص06.

قواعد نحوية مفردات علاقات بين الكلمات والمعاني، فالأفراد في هذه الجماعة يتعلّمون ويتشاركون هذه القواعد والمعاني ممّا يجعل التّواصل بينهم ممكناً وفعّالاً.

يقول "فرديناند دي سوسير" في كتابه: «إنّ اللّغة والكلام لسيا شيئاً واحداً، إنّما هي بمثابة قسم معيّن وإن كان أساسها والحق يقال. فهي في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة من المواضع يتبنّاها الكيان الاجتماعي ليتمكّن الأفراد من ممارسة هذه الملكة».¹

ويعني هذا أنّ الفرق بين اللّغة والكلام يكمن في أنّ اللّغة ليست نفسها الكلام بل هي جزء منه على الرّغم من أنّها أساسه، فاللّغة هي نتاج اجتماعي لقدرة الإنسان على الكلام، وهي عبارة عن مجموعة من القواعد والمفاهيم التي يضعها المجتمع لتمكين أفرادها من ممارسة الكلام لأنّهم يكتسبونها من خلال التّفاعل مع المجتمع المحيط بهم.

فاللّغة إذن هي نظام اجتماعي معقّد يساعد الأفراد على تحويل قدرتهم الفطرية على الكلام إلى تواصل فعّال ومفهوم.

اللّسان (Parole): يشير إلى الاستخدام الفردي للّغة، فتعلّق بكيفية استخدام الأفراد للقواعد والرّموز المشتركة في التّواصل اليومي، واللّسان هو الكلام الفعلي الذي يقوم به الشّخص، ويتضمّن الجمل والنّصوص التي ينتجها الفرد في سياقات محدّدة، فهو تعبير عن اللّغة في الواقع العملي.

فاللّسان هو النّظام اللغوي الذي يشترك فيه جميع أفراد المجتمع اللغوي، هذا النّظام يتألّف من مجموعة من القواعد والبنى التي تحدّد كيفية إنتاج الكلمات والجمل وفهمها، فهو

¹ - فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرماي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، 1985م، ص29.

يمثلّ البنية الاجتماعية للغة، أي أنه مجموعة القواعد والمبادئ التي يتبعها الأفراد عند استخدام اللغة للتواصل، هذه القواعد تحدّد كيفية تشكيل الكلمات وترتيب الجمل وفهم المعاني، فهو يمثلّ البنية الاجتماعية للغة لأنه مشترك بين جميع أفراد المجتمع ويعكس الطريقة التي يستخدم بها التواصل داخل تلك الجماعة اللغوية.

والكلام مصطلح يشمل كلا من اللغة واللّسان، يعبر عن القدرة الإنسانية العامّة على التواصل باستخدام الرموز والأصوات، فالكلام ظاهرة شاملة للأنظمة والقواعد (اللغة) واستخدامها الفعلي (اللّسان).

فيرى دي سوسير أنّ دراسة اللغة يتطلّب التركيز على البنية الداخلية للنظام اللغوي بدلاً من التركيز على الاستخدام الفردي (اللّسان)، لأنّ البنية هي التي تمكّن النّاس من التواصل وفهم بعضهم البعض.

2- العلامة اللغوية (المدلول والمدلول): كلّ علامة تحمل في طياتها معلومة فهذه العلامة يمكن أن تكون فيزيائية أو سمعية لنقل الخبر، كإشارة المرور والحركات ولغات الحيوانات والإنسان، فالعلامات معروفة منذ القدم وقد كان معروفاً أيضاً أنّ العلامات اللغوية هي الرّبط بين تصوّر وصورة، كان معروفاً أيضاً أنّ العلامات اللغوية هي الرّبط بين تصوّر وصورة صوتية.

ففرديناند دي سوسير هو مؤسس علم العلامات اللغوية، وهو الذي رتبّ العلامات في أنظمة علامائية والذي حدّد خواصها، فقد اعتبر العلامة اللغوية كل يتكوّن من تصوّر وصورة صوتية، إذ استخدم المصطلحين (المدلول / Signifié) و(المدلول / Signifiant). وكلّ منها مرتبط بالآخر ويستلزم كل منهما الآخر، فلا يستطيع المرء أن يفصل الصوت عن الفكرة ولا الفكرة عن الصّوت.

«كلا الجانبين نفسيين والدّال أيضا، الصورة الصوتية ليست صوتًا (صوتًا مركّبًا) واقعيًا يرتكز على تجريد من أصوات (مركبات صوتية) واقعية كثيرة، لها كلّها علاقة ذاتها بالمدلول التّصوّر فالصورة الصوتية»¹. ومعنى هذا أنّ كلا من الدّال والمدلول هما جوانب نفسية آخرهما مرتبطان بالعقل والتّصوّرات الدّهنية ليس بالضرورة بالواقع المادي أو الصّوتي الفعلي، فالدّال هو الرّمز الذي نستخدمه للإشارة إلى شيء ما يمكن أن يكون كلمة، صورة، إشارة أو أي شكل آخر من أشكال التّعبير، فالكلمة المنطوقة على سبيل المثال ليست مجرد صوت حقيقي نسمعه، بل هي تمثيل ذهني لهذا الصّوت، بمعنى آخر هي صورة في أذهاننا لما يجب أن يبدو عليه الصّوت، وليس الصّوت نفسه وأنّ الصورة الصوتية تتكوّن من تجمّع عدّة أصوات واقعية أو مكوّنات صوتية، والتي لها علاقة مباشرة بالمدلول.

فالدّال والمدلول إذن هما مفهومان نفسيّان، الدّال ليس مجرد صوت حقيقي بل هو تمثيل ذهني مكوّن من عدّة أصوات، وكل هذه الأصوات مرتبطة بشكل مباشر بالمدلول أو بالمعنى الذي يشير إليه.

إنّ "سوسير" لا يرى نظام العلامات إلّا في اللغة المعنية وحدها، إذ أنّه يذكر على الكلام النّظامية، وهكذا تعمل أنظمة علاماتية أخرى مثل النّظام اللّغوي لا يكون فيه الكلام الإنساني إلّا موضوعًا للبحث إلى جانب أنظمة علاماتية أخرى، وهذا ما سمّاه علم العلامات (Sémiologie).

كما أنّ سوسير وصف العلامة اللغوية بالاعتباطية والأفقية باعتبارها خاصيتين أساسيتين، فالعلامات تنطق أفقية متجاوزة، أمّا الاعتباطية فتتطلّب بعض التروّي والتدبّر، فالاعتباطي Arbitrar تعني أنّ التّصوّر والصورة الصّوتية ليس سببًا، ومثال ذلك أن: لا

¹ - إبراهيم مصطفى إبراهيم، مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1992م، ص115.

يوجد أي تحليل أن نسمّي "الشجرة" ذلك النّبات ذي الخواص النباتية المحدّدة للغاية، فهذا النّبات يُسمّى في اللّاتينية (Arbre) وفي الإنجليزية (Tree).

فالعلامة لدى "دي سوسير" إمّا اعتباطية أو محفّزة، خاصيتها الأساسية هي اعتباطيتها وعرفيتها لا تنشأ من الاتّفاق وليس من على أساس ارتباط سببي بين المكوّنين.

حقاً أنّ سوسير لم ير ولم يوضّح أن الحالات التي توجد فيها في الواقع تحفيز لا تنفي الاعتباطية، بحيث لا يمكن أن يشكّل التّحفيز القطب المضاد للاعتباطية.¹

3- الآنية والزمانية:

لقد كانت اللغة وما تزال موضوع اهتمام الباحثين والدّارسين اللغويين وغير اللغويين، فقد أصبحت ظاهرة اجتماعية خضعت للدّراسة والتحليل منذ زمن طويل ومازالت الدّراسات فيها مستمرة إلى يومنا هذا، فهي تخضع للتّطوير والتغير، ولا تبقى على حالها، فهي في تطوّر مستمرّ في كلّ جوانبها الصوتية والصرفية... إلخ.

وكانت الطّريقة المثلى لتناول اللّغة حسب العالم اللّساني "دي سوسير" في الدّراسة التّعاقبية (Diachronique)، فقد أصرّ على أنّ اللغة يجب أن تدرس في زمن معيّن لأنّه حسب رأيه الأكثر دقّة وصحّة ذو طابع علمي موضوعي. فقد أعطى لها أهمية كبيرة في كتابه "الألسنية العامة" وحدّد لها فصلاً كاملاً يحلّل هذه الثنائيات، رغم أنّ الآنية والزمانية مختلفتان إلّا أنّهما في نفس الوقت مرتبطتان، حيث قال دي سوسير في كتابه: «لكي نبيّن أنّ كلا من الدّراسة الآنية والدّراسة الزمانية قائم بذاته وأنّهما في نفس الوقت مترابطتان، يكفي

¹ - عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، إشكالية التكوين والتمركز حول الذات، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت، ط2، 2003م، ص69.

أن تشبه الدّراسة الآنية بإسقاط جسم من الأجسام على سطح ما¹. نفهم من هذا أنّ العلاقة بين الدّراسة الآنية (أي دراسة الحالة أو الظاهرة في لحظتها) والدّراسة الزّمنية (أي دراسة تطوّر الحالة أو الظاهرة عبر الزّمن) لتوضيح هذه العلاقة تشبه الدّراسة الآنية بإسقاط جسم ما على سطح ما، هذا التهميش يعني أنّ الدّراسة الآنية تعطينا صورة ثابتة ومحدّدة للحالة كما هو في لحظتها، مثل إسقاط ظل في جسم يعطينا شكلاً أو تصوّراً محدّداً له.

ولكن بالرّغم من هذا الشّكل يكون قائماً بذاته ومستقلاً، إلا أنّ الصورة الكاملة للحالة لا تكتمل إلاّ بدراسة تطوورها عبر الزّمن، كما أنّ فهم شكل الجسم الذي أسقط ظلّه يكون أكثر دقة عند دراسة الحركة التي قام بها الجسم أو الزّمن الذي استغرقه للوصول على هذه الحالة. وبالتالي كلا من الدّراسة الآنية والزّمنية قائم بذاته، ولكن لكي نحصل على فهم كامل ومتوازن من الضّروري ربطهما معاً.

وقد وجدت في الدّراسة تشابهات وتقاطعات في مناهج ومبادئ كلا من الآنية والزّمانية، حيث يقول دي سوسير: «يظهر التّقابل بين وجهة النّظر الزّمانية ووجهة النّظر آنية واضحاً وجلياً في جميع النّقاط»². فوجهة النّظر الزّمانية تعتمد على دراسة الظواهر من خلال امتدادها عبر الزّمن، أي الاهتمام بكيفية تطوّر الظاهرة أو الحالة مع مرور الوقت، في حين أنّ وجهة النّظر الآنية تركز على تحليل الحالة كما هي في لحظتها الحالية دون اهتمام بما حدث قبل أو ما سيحدث بعد هذه اللّحظة، وهذا التّقابل يظهر في العديد من النّقاط كالتوجه والتركيز، حيث أنّ الزّمانية تهتمّ بالتغيّرات التدريجية والتطوّر التاريخي، بينما الآنية تهتمّ بالوضع الرّاهن دون النّظر إلى الخلف أو الأمام، وكذا الأدوات والأساليب، حيث لكلّ

¹ - فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية، ص 136.

² - المرجع نفسه، ص 156..

منظور منهما أدواته وأساليبه الخاصّة، فالزّمانية تعتمد على السّرد التّاريخي والتّحليل الطّويل المدى، بينما الآنية تعتمد على الوصف والتصوير الفوري.

وفي الأخير نستخلص أن كلا من وجهتي النّظر مهمتين لفهم ظاهرة أو حالة، وأنّهما يظهران بتقابلهما في نقاط متعددة وواضحة.

نستنتج من كلّ هذا أنّ "فرديناند دي سوسير" يرى أنّ اللغة تتحكّم فيها سلسلة من الأحداث التاريخية التي مرّت بها، ويمكن تغييرها ولا شيء أهمّ من معرفة ظروف نشأتها والكشف عن طبيعتها والحالة اللّغوية لها. ويرى أيضاً أنّ اللّسانيات تتفرّع إلى فرعين هما:

أ- لسانيات زمانية: فيرى أنه لا يمكن أن نصلح لها بمصطلح اللسانيات التاريخية (Linguistique historique)، فذلك يجعلها غامضة أكثر وغير دقيقة، فاستبدالها بمصطلح اللسانيات التطوّرية (Linguistique évolutive)، فهذا المصطلح أوضح وأدق، ومعناه أنه يدرس وينظر إلى تحول اللغة عبر الزمان والتحوّلات التي جرت عليها.

ب- لسانيات آنية (Linguistique Synchronique): أي معناه دراسة اللغة كما هي أنيا، ويضاف على هذا النوع من الدّراسات اسم (Science des états de langue) أي علم حالات اللّغات أو (Linguistique statique) أي اللسانيات القارة.

خلاصة الفصل:

فالدّراسة اللّسانية تطوّرت على يد سوسير الذي فرّق بين البحث الآني للّغة الذي أعطى له الأهمية الكبيرة، حيث توصل إلى أنّ المقارنة الحقيقية هي كيفية قيام اللغة بدورها، وكيفية اللعب في مباراة الشطرنج، فتوصل إلى نتيجة وهي أولاً في أي مرحلة من مراحل هذه اللّعبة توافق حالات اللغة، فقيمة كل قطعة من الشطرنج إلى بقية القطع الأخرى هي رهينة موقعها، وذلك كذلك كلّ عنصر من عناصر اللّغة لها علاقة في تقابله مع جميع العناصر الأخرى.

إنّ فلا يمكن الاستغناء عن الدّراسة التّاريخية التّعاقبية في تحليل الظواهر اللغوية، وذلك بالاعتماد على المنهج الآني والزّمني معاً، فالإقتصار على المنهج الآني وحده كان محل فشل التحليل البنيوي، لذلك ظهرت اللّسانيات التّداولية التي تجمع الجانب الاجتماعي والتّاريخي وكذا العوامل الخارجية في التحليل.

الفصل الثاني

آثار الفكر السوسيولوجي في المدارس اللسانية الحديثة

تمهيد:

أثارت أفكار سوسير نهضة فكرية علمية وشغلت اهتمام الباحثين والدارسين وكانت سبباً لظهور عدّة مدارس لسانية اعتماداً على ما جاءت به المدرسة السوسيرية التي سمّيت بعدة تسميات منها البنيوية، الشكلية، الصورية.

قام العلماء بتطوير وتحليل مختلف الآراء التي جاء بها دي سوسير وتطبيقها على مختلف لغات العالم، ممّا أفرز عنه ظهور عدّة مدارس لسانية في أوروبا وأمريكا من خلال القرن الماضي، حيث تنسب كلّ مدرسة كلّ مدرسة إلى العالم التي أسّسها والبلاد الذي نشأت فيه.

وجاءت بعد المدرسة البنيوية عدّة مدارس أوروبية؛ منها المدرسة الوظيفية ل(أندريه مارتيني / André Martiné) التي تبنت الصّوت كأصغر وحدة لغوية. وجاءت بعده في نفس المضمون المدرسة الكلوسيماتيكية التي انطلقت من النصّ مركزاً للدراسة وجاءت كذلك عدّة مدارس أمريكية لسانية، منها المدرسة التوزيعية والتوليدية التحويلية.

1- المدرسة الوظيفية: تأسست هذه المدرسة على يد العالم الفرنسي (أندريه مارتيني) عام 1967م، فهو لغويّ شهير، وأحد أبرز رواد اللسانيات البنيوية في القرن العشرين، كان له تأثير كبير في تطوير النظرية الوظيفية في علم اللغة.

أسس مدرسة فكرية في اللسانيات تركّز على دراسة اللغة من منظور وظيفي، حيث يعتبر أنّ «الأنظمة اللغوية تخضع لضغوط متعدّدة ناتجة عن متطلبات التّواصل الاجتماعي».¹

¹ - ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2005، ص154، 155.

ثمّ ظهرت بعد ذلك مع العالم اللساني التشيكي "ماتيسوس" الذي ركّز على دراسة اللّغة بطريقة جديدة تختلف عمّا سبقها من قبل، ومعنى هذا أنّه يعدّ من مؤسّسي علم اللّغة الوصفي واللسانيات الحديثة، وهو مجموعة من الباحثين المتقاربة فكرياً؛ معلنين عن ميلاد "حلقة براغ اللسانية" منهم (ماتيسوس / Mathesius)، و(ترنكا / Tranka) و(تروبتسكوي / Throbtskoy) الذين ساهموا في نجاح "حلقة براغ" بفضل ما تبقى من تقاليد راسخة في الفكر اللساني، حيث لم يستغرق هذا التطوّر إلاّ قرابة عشر سنوات، ثمّ انتقلت إلى "هارفرد" بالولايات المتّحدة، وهذا ما وجدنا نعمان بوقرة يتحدّث عليه في كتابه، إذ يقول: «وكان لمدرسة براغ الصّدى الكبير في الأوساط اللسانية العالميّة ولّد عددا كبيرا من منظري العصر من بينهم مؤسس اللسانيات الرّسمية الفرنسيّة أندريه مارتيني»¹.

ويعني ذلك أنّ مدرسة "براغ" أثّرت بشكل واسع في الأوساط اللغويّة العالميّة وتطوير علم اللسان، وأسهمت في تكوين عدد كبير من المنظرين والمثقفين في هذا المجال، من بين هؤلاء "أندريه مارتنيه" العالم اللغوي الفرنسي الذي برز في تأسيس اللسانيات الرّسمية.

أسّس مدرسة "براغ" مجموعة من علماء اللّغة في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي، حيث كان لها تأثير كبير من فروع اللسانيات الصوتيات، النّحو، علم الدّلالة. أمّا "مارتنيه" فقد ساهم بشكل أكبر مركزاً أكثر على الاقتصاد في اللّغة في البعد الوظيفي.

إنّ نشأة اللغويّات الوظيفية يتمّ من خلال التحوّل من التفسير البنائي إلى التفسير الوظيفي في علم الاجتماع سنة 1920، وقد أصبحت "براغ" والتي تقع على مفترق طرق البنيوية الأوروبية الغربية والشكلية الروسية مركزاً مهماً للّغويات الوظيفية.

¹ - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الأدب، القاهرة، ص 85.

فهذا الاقتباس يبرز أهميّة المدرسة في تطوير علم اللّغة وتأثيرها العميق على المفكرين والمختصّين في هذا المجال. ويعني ذلك أنّ مدرسة "براغ" أثّرت بشكل واسع في الأوساط اللغويّة العالميّة وتطوير علم اللّسان، وأسهمت في تكوين عدد كبير من المنظرين والمتقّفين في هذا المجال، من بين هؤلاء: "أندريه مارتيني" العالم اللّغوي الفرنسي الذي برز في تأسيس اللّسانيات الرّسمية.

ومدرسة "براغ" أسّسها مجموعة من علماء اللّغة في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي، حيث كان لها تأثير كبير من فروع اللّسانيات، الصّوتيات، النّحو، علم الدّلالة. أمّا "مارتيني" فقد ساهم بشكل أكبر مركزًا أكثر على الاقتصاد في اللّغة في البعد الوظيفي.

إنّ نشأة اللّغويات الوظيفيّة يتمّ من خلال التحوّل من التّفكير البنائي إلى التّفكير الوظيفي في علم الاجتماع سنة 1920م. وقد أصبحت "براغ" والتي تقع على مفترق طرق البنيوية الأوروبيّة الغربيّة والشكليّة الروسيّة مركزًا مهمًّا للّغويات الوظيفيّة.

بالإضافة إلى كلّ ذلك نجد كلّ ما تحدّثنا عليه، نجد أحد المترجمين لكتاب "أندريه مارتيني" يرفض الانتقاد وذلك يتجلّى في العبارة التّالية: «أمّا اللّساني الوظيفي فهو لا ينتقد أحدًا، إنّّه يكشف ببساطة ما سمعه فعليًّا، إذ توخّينا حسن الإصغاء، أكان هذا الشّيء صحيح أم لا»¹. الاقتباس يشير إلى فكرة هامّة في اللّسانيات الوظيفية يبدو أنّ المقصود هو أنّ اللّغوي الوظيفي لا ينتهي دوره عند مجرد تفسير أو تحليل ما يسمعه من اللّغة. فهو يكشف ما هو موجود فعليًّا في الكلام دون أن يقتصر على تقييم مدى صحّة أو دقّة ما يُقال. بمعنى آخر، إذا لم نكن مستمعين جيّدين، فقد نفقد القدرة على تمييز ما إذا كان الكلام صحيحًا أو

¹ - أندريه مارتيني، وظيفة الألسن وديناميتها، تر: نادر سراج، ط1، بيروت، المنظمة العربيّة للترجمة، ص48.

دقيقا، لكنّ اللّساني الوظيفي برکز على تحليل المحتوى كما هو، بغضّ النّظر عن تقيّماته الذاتيّة أو أحكامه.

د- مبادئ المدرسة الوظيفية: من أهمّ المبادئ التي تقوم عليها هذه المدرسة مفهوم الوظيفة؛ «إنّ الباحث يسعى دائماً إلى الكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي وظيفة داخل التركيب، أي البحث عن الوحدات التي يمكنها أن تغيّر المعنى كلّما استبدلت بأخرى، فتغيّر معنى الوحدات اللغوية دليل على أنها وظيفية».¹ فجوهر هذه النظرية الوظيفية الأوروبية هو المعنى والوظيفة، فتحليل أي مدرسة لسانية يجب أن يكون وظيفياً يقوم على إحصاء مجموعة من الوحدات اللغوية ومعرفة الشبه والاختلاف بينهما، أي يقابل بينها ويكشف الفوارق التي تعكس قيمتها الذاتية، أي وظيفتها، ومثال ذلك الشّكل الآتي:

الطّفّل	نام
الطّفّل	بكي
الطّفّل	لعب

الشكل 1

ومن هذا الشّكل يمكن أن نلاحظ أنّ هناك ثلاث وحدات لسانية مختلفة من حيث البناء، وهذا التّقابل نفسه يعكس الفوارق الدلالية بينها، وتوكّد في نفس الوقت أنّ لكلّ كلمة وظيفة داخل التركيب، وأيضاً ينطبق هذا المنهج على المستوى الصوتي.

فإذا أخذنا مدوّنة مكوّنة من ساد، قام، عاد وقطعناها إلى أصغر الوحدات غير الدّالة، أي الفونيمات لوجدناها تختلف وتتشابه على مستوى المخرّج أو الصّفة كما يلي:

¹ - شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث، 2004م، ط1، ص17.

ق/: لهوي + مجهور + شديد + مستعلى.

ع/: حلقى + مجهور + بينى.

س/: أسناني + مهموس + صغيرى.

وانطلاقاً من هذا التّقابل بينها يؤكّد وظيفتها وقدرتها على تغيير معاني الكلمات.

أمّا المبدأ الثّانى الذي تقوم عليه المدرسة الوظيفية فهو التقطيع المزدوج وهو من أهمّ المبادئ التي تبنى عليها أفكار مارتينييه، حيث أنّ لغة البشر تتميّز عن لغة الحيوان والطّبيعة والإشارات، فتحليل الوحدات اللغويّة حسب "مارتينييه" يقوم على مستويين:

1- التقطيع المزدوج: أي المونيمات مثل: حفظ التّلميذ الدّرس.

← حفظ/ ال/ تلميذ/ ال/ درس.

2- التقطيع الثّانوي: وينطلق هذا التقطيع على تحليل هذه النّسخة إلى أصغر

الوحدات الصوتية المجرّدة من المعنى.

يعود بنا هذا الطّرح الذي قدّمه مارتينييه إلى التّصوّر الثّنائى الذي جاء به دي سوسير والذي يدرس اللغة وفق ثنائيات متقابلة، وهو المفهوم الذي انطلق منه مارتينييه في تحديده لمفهوم اللغة، إلّا أنّه وعلى غرار سوسير الذي أوغل في الشكلائية المحضة، فإنّ مارتينييه قد أضفى طابعا وظيفيا على اللغة جعله منطلقا لمختلف الدّراسات الوظيفية التي جاءت بعده.

ومن هذا نستنتج أنّ لهذا المبدأ قيمة لسانية، فهو بدوره يمكن اللّغة من التّعبير عن أفكار ومعاني كثيرة متعدّدة مجرّدة بواسطة عدد محصور من الفونيمات التي هي الحروف، وهذا ما يشكّل مفهوم الاقتصاد اللغوي في اللّسانيات.

2- المدرسة الكلوسيماتيكية (كوبنهاغن) ل(هلملسف):

عبارة "كلوسيماتيك" من إبداع "هلمسليف" التي نقلها عن الإغريق، وأصبحت نظرية لسانية تتفق مع تعليمات "سوسير"، فاللغة بالنسبة إليها هدف لذاتها وليست وسيلة، وقد قامت هذه المدرسة بانتقاد اللسانيات السابقة معتبرة أنّ اللغة وحدة مغلقة على نفسها، فهي ضدّ الاتجاه الإنساني الذي يرى أنّ الفونيم يتعلّق بالإنسان.

فهذه المدرسة تنطلق من مبدأ التجريب الذي يميّز بالشمولية والبساطة وعدم التناقض، فاللغة تعتبر بنية لأنها تتكوّن من محتوى وتعبير وسياق ونظام، فمصطلح "الكلوسيم" في هذا الاتجاه يطلق على الأشكال الصغرى التي يحددها التحليل التي لا تتجرأ على مستوى التعبير والمحتوى أيضاً، فهذه المدرسة لا تختلف على مبادئ سوسير.

تميّزت هذه المدرسة بالنظر إلى اللغة على أنها ليست مادة وإتّما هي صورة وشكل، وأنّ جميع اللغات تشترك في أنها تعبر عن محتوى، وما دامت اللغة (بنية) و(شكلا) و(نظاما) فريدا قائما بذاته، فقد استدعى ذلك أو توضع لتحليلها نظرية صورية رياضية تصدق على جميع اللغات¹. وبالتالي فكرة اللغة لا ينظر إليها كمجرد أداء للتواصل أو مجرد مادة تُدرّس، بل يتمّ التعامل معها على أنها بنية معقدة تتكوّن من أنماط وأشكال، اللذين يعتبران جزءاً أساسياً من اللغة، وجميع اللغات تتشابه في أنها تعبر عن محتوى ما، ولكنّ ما يميّز كلّ لغة هو النظام الفريد الخاص بها، ممّا يستدعي تطوير نظرية تحليلية تعتمد على الأسس الرياضية والصورية، هذه النظرية تتيح إمكانية تحليل جميع اللغات بناءً على هذه البنية الشاملة، ممّا يبرز الجانب البنوي والعلمي في دراسة اللغة.

¹ - حسني خالد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، مطبعة أنفو-برانت، فاس، المغرب، ص44.

تمثل مدرسة "كوبنهاغن" محاولة لإنشاء بناء منطقي رياضي يعتمد على مجموعة من التعريفات والمصطلحات، فهي مدرسة لا تختلف كثيراً عن مدرسة "جنيف" و"براغ"، لكنها لم يحالفها الحظ في الانتشار.

3- المدرسة التداولية:

قد شهدت الدراسة اللسانية تطوراً واضحاً بعد أن قام تلاميذ دي سوسير بنشر محاضراته سنة 1946م، مما أدى إلى ظهور ونشأة عدّة مدارس بنيوية في بلدان مختلفة، تفرّعت منها عدّة مناهج كلٌّ منها تهتمّ بدراسة اللّغة. بعد ذلك ظهر خلل في اللسانيات البنيوية، وأهمّ من انتقدها "نوام تشومسكي" بسبب إهمال اللسانيات البنيوية للمرجع والسياق والعوامل الدّاخلية التي تؤثر في العملية الكلامية والتّواصلية بين المرسل والمتلقّي، والمعروف أنّ اللّغة ليتمّ استخدامها بشكل تامّ، يجب تحقيق التّفاعل المستمرّ بين المتخاطبين، فهي من جهة تعتبر أداة تبليغ ومن جهة أخرى هي وسيلة تواصل يومي.

فهذا الاهتمام بكيفيّة التّواصل جاء بمصطلح جديد وهو "التّداولية"، وهو فرع يركّز أكثر على منطلقات وظيفيّة للّغة التي يمارسها الإنسان في حياته اليومية باختلاف مستوياتها، أي الاستعمال الفعلي للّغة.

أ- تعريف التّداولية ومجالات بحثها:

مصطلح « Pragmatique » غامض في اللّغة الفرنسية، وهو يرتبط بالواقع أو مكيف معه، أمّا في اللّغة الإنجليزيّة التي تعدّ لغة أغلب الباحثين ف Pragmatic له معنى متعلّق بالأحداث والتأثيرات الواقعية. ومعنى ذلك أنّ هذا المصطلح عند الفرنسيين مرتبط بالواقع ومكيف معه، أمّا في الإنجليزيّة والتي تعدّ لغة الباحثين يرتبط بكلّ ما هو متعلّق بالأحداث أو التأثيرات الواقعية، والذي ترجمه بالتّداوليات سنة 1970 من قبل طه عبد الرحمن مقابلاً

للمصطلح الغربي براغماتيكاً، والذي لأنّه أقرب مصطلح للاسم الأوّلي، وبعد ذلك تلقى القبول من الدارسين في هذا المجال.

فالتداولية منذ ذلك الحين أصبحت من أكثر المواضيع دراسةً من قبل الباحثين، حالها حال الأبحاث الفلسفية والسيمائية واللسانية، ولكن رغم ذلك لم تستقل بشكل كامل، ومعنى ذلك أنّ التداولية بمختلف فروعها لم تبلغ بعد الوضوح الذي تستحقه، وذلك بسبب أنّها تدخلت في نشأتها علوم مختلفة ونظريات علمية ومعرفية مختلفة. أمّا متى تمّ إدخال هذا المصطلح « Pragmatique » في معجم اللسانيات يعود إلى "شارل موريس" سنة 1938 في كتابه "أسس نظرية العلامات"، فقد كان أوّل من حدّد ماهية التداولية.

ومن كلّ هذا يمكن لنا أن نقول أنّ التداولية هي مجموعة نظريات نشأت من منطلقات عديدة كلّها مشتركة في اعتبار اللّغة نشاطاً يمارس في سياقات مختلفة وكثيرة، تهتمّ باللفظة داخل السياق ولا تهتمّ بوصف الجمل دلالياً، فاللّغة هي نشاط تتحكّم فيه مجموعة من الظروف منها الذاتية والموضوعية، مع اشتراط حضور شخصين على الأقلّ، فالسياق من أهمّ ما تهتمّ به التداولية بتدخل عدّة عناصر منها طبيعية، اجتماعية، ونفسية... إلخ.

ويعرّفها "فرانسوا أريكانتي" « François Reccanati » بأنّها دراسة استعمال اللّغة داخل الخطاب وإبراز السّمات التي يميّزه، وتهتمّ ببعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدّد معناها إلاّ من خلال استخدامها.¹ ومعنى هذا أنّ دراسة كيفية استخدام اللّغة يكون في سياق الخطاب أو التّواصل، مع التّركيز على السّمات التي تجعل الخطاب مميّزاً، والأهمّ هنا أنّ بعض العناصر اللغوية لا يمكن فهم معناها إلاّ عندما تستخدم في سياق معيّن، بمفهوم آخر أنّ المعنى لا يكون ثابتاً أو محدّداً بشكلٍ كامل من خلال الكلمات الفردية بل يتحدّد بناءً على

¹ - أحمد عزوز، المدارس اللسانية، مرجع سابق، ص 227. نقلا عن: فرانسواز أرمينكو، ص 08.

كيفية استخدامها في الحديث أو الكتابة في إطار تفاعلي اجتماعي، حيث يبرز السياق والظروف المحيطة دورًا كبيرًا في تحديد المعاني.

وما يمكن أن نستنتجه أنّ اللسانيات التداولية هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية، وتقابل الملكة اللغوية الصرفة وذلك ما حدده تشومسكي.

والتداولية هي عبارة عن التقاء عدّة تيّارات مشتركة في الأفكار الأساسية التي تربط الدول اللغوية مع بعضها البعض، ومن أهمّ هذه التيارات:

أ- تيار شارل موريس: ويتجلى هذا التيار في كتابه الذي ألفه سنة 1938، وترجم إلى الفرنسية. «يقصد بالتداولية علم علاقات العلامات بمستخدميها ومتداوليها، أو العلم الذي يعالج العلاقة بين الأداة ومؤوليها»¹. يعني أنّ التداولية أو البراغماتية في علم اللغة وفلسفة اللغة هي الفرع الذي يركّز على دراسة كيفية استخدام اللغة في السياقات المختلفة من قبل المتحدثين والمستمعين، وكيف يتأثر المعنى باللغة بناءً على السياق الذي تستخدم فيه.

تهتمّ التداولية بدراسة العلاقة بين العلامات (الألفاظ والرموز) وبين مستخدميها أو من يتداولونها (المتحدثون والمستمعون)، هذا العلم يركّز على فهم كيفية تفسير المتلقي للغة بناء على الموقف والسياق، وكيف يتغيّر المعنى حسب نوايا المتحدث أو الظروف المحيطة، وبعبارة أخرى فهي تدرس العلاقة بين الأداة اللغوية الكلام والتفسيرات أو التأويلات لمستخدميها في سياقات معيّنة.

ب- تيار فلاسفة إكسفورد: وزعيم هذا التيار الألماني "ميتجنشتاين" (L.Wittgenstein) الذي كان من المؤسسين الأوائل، فيرى أنّ اللغة متميّزة بقواعد لا يمكن دراستها إلا بمعرفتها،

¹ - أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، ط2، دار آل الرضوان، وهران، ص233.

وقد تأثر "ديجور" "بتشيه" "فيتجنشتاين": الألعاب اللغوية في كتابه "قل ولا نقل"، حيث يعتبر الكلام فعلاً محققاً في الواقع لا ينفصل عن المتكلم، ولتحقق ذلك يجب أن تتحقق شروط خاضعة لأعراف اللغة.

إنه وخلافاً لتلك النظريات الشكلية التي كان منطلقها سوسير، والتي كانت تدرس اللغة وفق قواعد اختزالية تنحصر في قواعد الصوت والصرف والنحو والدلالة، فإن التداولية على عكس ذلك اهتمت بمظاهر التواصل الإنساني المبني على مقامات التبادل الكلامي، وبالتالي فإن عنصر الكلام الذي أُبعد عن الدراسة في ضوء اللسانيات البنوية قد أصبح محورا للدراسة عند التداوليين نظراً للاتفاق الواسعة التي يفتحها لفهم مقاصد الكلام.

ومن كلّ هذا نستخلص أنّ التداولية النظرية تسعى لوضع حدود معالمها ضمن تيارات ومناهج متعدّدة أفرزتها المعارف والعلوم المختلفة في العصر الحديث، وقد استنقت منها علوم شتى كالنحو وعلم الدلالة والبلاغة والسميائية، حيث تطوّرت من تحليل اللغة العادية إلى تحليل النصوص والخطابات المختلفة.

4- المدرسة السياقية (الإنجليزية):

يعدّ "فيرث" من بين أوائل العلماء الذين جعلوا اللسانيات علماً معترفاً به في بريطانيا، وقد ركّز بالأخصّ على الصوّتيّات الوظيفيّة أو علم الدلالة، أو ما يُعرف بالنظرية السياقية، فأبى دراسة للمعاني تتطلّب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها، فمعنى الكلمة يتعدّد لتعدّد السياقات التي تقع فيها. فنظرية فيرث تنظر إلى المعنى على أنّه وظيفة في سياق، و«يعدّ ما فعله فيرث في هذا الشأن نقلة ابستمولوجية أنطولوجية كبيرة في حقل اللسانيات، لأنّها دعمت الموقف السلوكي في ذهابه إلى صعوبة البحث الدلالي المعتمد على المنطق

والتصورات الوجودية المختلفة التي كانت سائدة في الفلسفة الإغريقية، كما فتحت الباب واسعاً نحو نهج جديد في دراسة المعنى على نحو يراعي الاستخدامات الفعلية للغة».¹

لقد دعم "فيرث" الموقف السلوكي الذي يرى أنّ المعنى لا يمكن حصره في نماذج منطقيّة أو تصوّرات فلسفيّة مجردة، بل إنّ المعنى يجب أن يُفهم من خلال دراسة الاستخدام الفعلي للغة في السياقات الحياتية، وهذا ينسجم مع الاتجاه التداولي الذي ينظر إلى اللغة كأداة لتبيين معانيها تبعاً للسياق والطريقة التي يستخدمها الناس في مواقف فعلية. ومساهمة فيرث فتحت الباب أمام نهج جديد في دراسة المعنى؛ يعتمد على ملاحظة وتحليل كيفية استخدام اللغة فعلياً من قبل الناس بدلاً من الاقتصار على النظريات المجردة.

يعدّ هذا الاتجاه نقلة نوعية في مجال اللسانيات في تحويل مسارها، فالشكالية التي كانت تطغى على البنيوية في عهد سوسير وأتباعه لم تعد قادرة على فهم اللغة بشكلٍ كافٍ بناءً على مستوياتها، لهذا شكّلت نظرية السياق ركيزة أساسية للخروج باللغة من طابعها الاختزالي إلى خارج اللغة والمتمثل في مختلف المؤثرات الخارجية والداخلية المحيط بالغة.

ورغم كلّ التّغيير الذي جاء به "فيرث" في البحث اللساني عامّة، وفي تفسير المعنى خاصّة، فإنّ مشكلته أنّه لم يعرض نظريته عرضاً كاملاً شاملاً لإبراز أفكاره السياقية، وهذا ما شجّع "هاليداي" في بداية الستينات إلى تقديم مقترح وتفسير مفصّل لنظرية "فيرث"، حيث أخذ مستويات التّحديد اللّغوي الثلاثة، وكان منهجه امتداداً وتكملة لمنهج "فيرث".²

وأخيراً يمكن القول أنّ اللسانيات البنيوية تسعى إلى وضع نظرية لدراسة اللغة باستعمال منهج تحليلي بنيوي، فالعالم اللساني يعتمد على المدونة، يعني تصوير العناصر الموجودة

¹ - حسني خالد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص 46.

² - المرجع نفسه، ص 47.

داخل النص، لكن من جهة أخرى يجب الإشارة إلى وجود خلافات جوهرية حول الموضوع، فمدرسة براغ وعلى رأسها "ياكبسون وبنفنيست" تهتمّ بدراسة علاقة المتكلم بكلامه، أما أتباع "سوسير" فيقترحون لسانيات تنطلق من اللفظ، وعلى عكس ذلك نجد "بلومفيلد" الذي يرى أنه من المستحيل تحديد المعنى وعلاقة صاحب النص بالواقع.

5- المدرسة التوزيعية:

ظهر هذا التيار في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1930 عندما بدأ البحث في اللغات الهندو أوروبية المنطوقة، حيث حاول الأمريكيون وضع قواعد لغوية لها، وقد تزامن ذلك في ظهور الفونولوجيا في أوروبا على يد "مدرسة براغ" وانتشار أفكار سوسير.

وقد ظهرت مبادئ التحليل التوزيعي على يد "بلومفيلد" في سنة 1930، والذي تأثر بالتيار السلوكي في أمريكا.

ويهدف هذا المنهج إلى وصف اللغة وجعلها مجموعة من التعبيرات المادية التي تشكل اللغة دون تدخل الدلالة في هذه التعبيرات أو ظروف التواصل بها. فالأمر يتعلق فقط بتعيين مستوياتها في العينة اللغوية، وبناء أصناف قياسية انطلاقاً من العينة وحدة¹. وهذا يعني أنّ المستويات اللغوية تصنّف وتحدّد بناءً على العينة اللغوية، أي يعتمد على العينة اللغوية المتاحة، ولا يتمّ استناداً إلى فرضيات خارجية أو معايير مسبقة، بل يتمّ بناء الأصناف القياسية مثل الأصناف النحوية والمفرداتية بناءً على ما يظهر في العينة. بمعنى آخر أنّ الاقتباس يشير إلى التصنيف اللغوي، والذي يتكوّن بشكل طبيعي من البيانات المأخوذة من العينة نفسها، ومن ثمة تبني الأصناف اللغوية وفقاً لما تمّ ملاحظته.

¹ - حسني خالد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص 57.

أي أنّ الأمر يتعلّق بدراسة اللّغة عن طريق تقسيم النّصوص في مستويات أو فئات، ومن ثمّ استخدام هذه النّقسيمات لبناء نماذج أو تصنيفات يمكن استخدامها لفهم وتحليل النّصوص الأخرى بطريقة مننّمة.

وينظر إلى اللّغة في اللّسانيات التّوزيعية باعتبارها مجموعة من الوحدات الدّالة تتوزّع داخل العيّنة اللّغويّة (جملة، نصّ)، ومفهوم التّوزيع في اللّغة الإنجليزيّة مجموعة من السّيّاقات التي يمكن أن تظهر فيها الكلمة.

ويعرّف مبارك المبارك مصطلح التّوزيع كما يلي: «يقصد بهذه الكلمة في السّيّاقات اللّغويّة التي يوجد فيها عنصر لغوي، وما يؤثر هذه السّيّاقات في العنصر، فكلّ وحدة صوتيّة توزع خاصّ بها، ويشمل هذا التّوزيع المواضيع التي يقع فيها هذا العنصر، وكذلك المواضيع التي لا يقع فيها».¹ يقصد بالتّوزيع هنا السّيّاقات اللّغويّة التي يظهر فيها عنصر لغوي معيّن مثل الصّوت أو الحرف والبيئة التي قد تؤثر عليه، بمعنى آخر لكلّ وحدة صوتيّة (فونيم) نمط توزيع يحدّد الأماكن التي يظهر فيها داخل الكلمات أو الجمل، وكذلك الأماكن التي لا يظهر فيها، على سبيل المثال في بعض اللّغات قد يظهر صوت معيّن في بداية الكلمة، لكنّه لا يظهر في النّهاية. هذا النمط من الظّهور والغياب، وهذا ما يُعرّف بالتّوزيع، وهو مهم في فهم كيفية وضع الأصوات داخل اللّغة وتأثير البيئة اللّغويّة على الأصوات، فالتّوزيع ينطلق من أنّ كلّ عنصر يتلقّى في بعض المواقع من عناصر أخرى، فالتّوزيع تتّضح جوانبه في علاقاته بالتركيب؛ مثال ذلك:

¹ - حسني خالد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص 58.

1- أنجز الطالب الواجب.

2- الطالب أنجز الواجب.

3- هذا الكتاب للطالب.

- فتوزيع الاسم "الطالب" في العبارة الأولى (1) هو الوقوع بين الفعل أنجز والاسم "الواجب".

- وتوزيع الاسم "طالب" في العبارة الثانية (2) هو الوقوع قبل فعل واسم.

- وتوزيع الاسم "الطالب" في العبارة الثالثة (3) هو الوقوع ذيلاً بعد حرف الجر.

أمّا أهمّ مبادئ المدرسة التوزيعية نجد:

1- أسبقية العيّنة أي (النّص) على النّظام اللّغوي، فالعيّنة هي التي تقدّم النّظام وليس

العكس. خلافاً للبنوية الأوروبية التي كانت تدرس اللّغة كنظام.

2- أسبقية المحور المركبي على المحور الاستبدالي، والعناية بالطبيعة الخطيّة، فكلاً

وحدة صرفيّة هي متتالية من الوحدات الصّوتية، وكلّ تركيب هو متتالية من الوحدات

الصّرفية، وكلّ خطاب هو متتالية من جملة.

3- أسبقية الكلام على اللّغة؛ حيث ركّز الباحثون على توضيح خصائص اللّغة الدّقيقة

معتمدين على العقل، وهذا ما يتناسب مع الإجراء التّوزيعي، كتفكيك الجمل المركّبة إلى

جمل بسيطة وتحويل جملة مبنية للمجهول إلى جملة مبنية للمعلوم.

4- اقتصاد المعنى من دائرة الاهتمام، وعدم إعطاء الأهمية الدّلالية التي يتضمّنها،

من أهمّ المصطلحات الموجودة في التّحليلي التّوزيعي نجد: العيّنة؛ والتي تشمل الشّاهد

والمُدونة (Le Corpus) اللغوية، وكذلك الوحدات (Mes Unités) وهي تنطلق من كلّ عنصر يساهم في تكوين البنية اللغوية (فونيمات ومونيمات).¹

وفي الأخير نقول أنّ مدرسة التحليل التوزيعية مرتبطة بالنزعة السلوكية (البيوهافيريزم) (Behaviorisme) التي شاعت في الو.م.أ منذ بداية 1920، حيث تدرس نفسية الأشخاص بناء على ما يصدر منهم من سلوك خارجي، والذي يقوم على (مثير واستجابة) أو (دوافع وردود أفعال)، وقد حمل لواء هذا الاتجاه اللساني "بلومفيلد" وتلميذه "هاريس".

6- المدرسة التوليدية التحويلية (نعوم تشومسكي):

قامت التوليدية التحويلية على أنقاض المدرسة البنيوية السوسيرية التي تختزل كل ما هو لغوي في إطار بنية مغلقة، وإذا كان "هاريس" قد سار باللسانيات التوزيعية إلى أقصى مداها، فإنّ (تشومسكي) في هذه النظرية اهتمّ بالمعنى المنطقي الرياضي، حيث طرح مفهومًا جديدًا عُرف بالتوليدية في اللسانيات. وهو مفهوم يتعارض مع أسس ومبادئ التوزيعية، فسُميت هذه المدرسة بالمدرسة التوليدية، وهي مجموعة من النظريات اللسانية وضعها وطوّرها (تشومسكي) في أواخر الخمسينات، امتدّ تأثيرها مجالات أخرى كالفلسفة وعلم النفس، حيث سيطرت على ميدان الدراسات اللسانية الأمريكية حتى نهاية القرن العشرين.

للمدرسة التوليدية الأهمية الكبرى والأثر البالغ في علم اللسان الحديث، ممّا اثار جدلا عنيفا بين دعائها ومنافسيها، وقد مرّت هذه المدرسة بمراحل عديدة منذ انطلاقتها سنة

¹ - حسني خالد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص 60، 62، 63.

1957، إلى مرحلة اكتمالها سنة 1965م. وقد تفرّج عنها علم الدلالة التوليدي، ومن أهمّ الأفكار التي انبثقت عليها هذه المدرسة التوليدية:

- 1- وضع جهاز نظري عام قادر على وصف اللسان البشري.
 - 2- اللّغة قادرة على إنشاء جمل غير متناهية العدد، بينما وحدتها الصّوتية والمعنوية محدودة.
 - 3- جعل "تشومسكي" للتركيب الأسبقية المطابقة على الصّرف والدلالة.
 - 4- للظواهر التركيبية مستوى عميق خاصّ بها مستقلاً عن المستويات الأخرى.
 - 5- تتماشى هذه النّظرية مع المنطق والحساب والإعلامية والشكلية، فقواعدها تشابه بالعمليات الحسابية، تتطلّب التحكّم في الرّموز وامتلاك المنطق.
 - 6- توليد كل الجمل الصحيحة لا متناهية بالقوة في لغة من اللّغات، فالمدوّنة محدودة وعدد جمل اللّغة غير محدودة، والسّامع المثالي له ملكة قادرة على ذلك. وتعتبر الملكة والإنجاز كثنائية دي سوسير في اللّغة والكلام.
- إنّ النّحو التّوليدي لم يكن محاكياً للنّحو التقليدي المدرسي في المفهوم والأهداف، لأنّه لا يرمي إلى تمكين المتكلّم من استقبال لغته الأمّ استعمالاً سليماً دون اخطاء، بل هو مجموعة من القواعد الكامنة في ذهن المتكلّم المكتسبة من محيطه الاجتماعي منذ طفولته، هذا ما يمكّنه من اكتساب لغات جديدة وإنتاج جمل جديدة لم يسمعها من قبل. «إنّ النّحو عند تشومسكي ليس المعرفة غير الواعية بقواعد اللّغة فحسب، بل هو طائفة من القواعد

تطبق على معجم محدود من الوحدات، فتولّد مجموعة من التّأليفات بحيث يمكن لهذه القواعد أن تصف كلّ ائتلاف بأنّه سليم في صوغه اللّغة التي يصفها النّحو»¹.

فالنّحو عند تشومسكي ليس مجرد معرفة غير واعية لقواعد اللّغة، بل هو نظام معقّد من القواعد التي يتمّ تطبيقها على مجموعة محدودة من الكلمات والمفردات، هذه القواعد تولّد عددًا من الجمل أو التّراكيب اللّغوية باستخدام هذه القواعد، يمكننا وصف جميع الاختلافات أو التّراكيب اللّغوية وتحديد ما إذا كانت سليمة لغويا وفق القواعد الخاصّة بتلك اللّغة.

ترى المدرسة التوليدية أنّ اللّغة مجموعة من الجمل، وهذه الجمل تُصنّف إلى فئة الجمل المنفية، وفئة الجمل المبنية للمجهول، وفئة الجمل المثبتة المرتبطة ببعضها البعض.

حيث يقول "تشومسكي": «من الآن فصاعدًا نعتبر أنّ اللّغة كناية عن مجموعة متناهية وغير متناهية من الجمل، كلّ جملة منها طولها محدود، ومكوّنة من مجموعة متناهية من العناصر»². ومعنى هذا أنّ اللّغة تتكوّن من مجموعة كبيرة من الجمل طويلة أم قصيرة، الممكنة التي يمكن توليدها على الرّغم من أنّ العناصر التي تشكّل هذه الجمل كالكلمات والقواعد محدودة، ويمكن استخدام عناصرها بطريقة تؤدّي إلى تكوين عدد محدود من الجمل لها طولها الخاص ذات رموز لغوية يتمّ ترتيبها وفقا لقواعد نحوية محدّدة.

ونفهم من فكرة "تشومسكي" أنّ الإنسان قادر على إنتاج وفهم جمل عديدة لم يسمع بها من قبل، وهذا يعكس الطّبيعة الإبداعية للّغة البشرية التي تعتمد على مجموعة محدودة من القواعد والعناصر، لكنّها قادرة على إنتاج عدد غير محدود من الجمل.

¹ - حسني خالد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، ص 82.

² - المرجع نفسه، ص 85.

ونشير إلى أن تشومسكي اختلف مع سوسير، حيث أن الأول يحلّل اللّغة انطلاقاً من مسلمة أنها وسيلة للتّواصل أو للتّعبير، بينما الثّاني يحلّلها ويفسّرها انطلاقاً من أنّها مجموعة من الجمل، كلّ جملة تحتوي على شكل صوتي وتفسير دلالي.

وآخر ما نصل إليه حسب هذه المدرسة أنّ المهمّ في اللّغة حسب المنهج العقلي ليس هو جانبها المادي البنيوي، ولكنّه قدرتها على التّوليد والإنتاج الجملي، فقد تأثّر التّوليديون كثيراً بديكارت وغيره من العقلايين، وتبنّوا مقولات الإبداع اللّغوي والسّلك الداخلي، وما له من طاقات داخل الدّماغ البشري، كون اللّغة عملية فعّالة في الدّهن البشري قادرة على الخلق والإبداع من خلال قانون نحوي عام يشمل كافّة اللّغات البشرية.

خلاصة الفصل:

تُعتبر المدرسة البنيوية ضمن أهم المدارس وأولها، ويُعدّ مؤسسها "فرديناند دي سوسير" أول من تطرّق إليها، فقد كان يسعى من خلالها إلى وضع نظرية لدراسة اللّغة من الجانب الشكلي والصوري، وتهتمّ بالبنية اللغوية. لهذا سُمّيت بالمدرسة البنيوية.

منه نستنتج أنّ العالم اللساني أو اللغوي ينصبّ تركيزه على دراسة العبارة أو الجملة المكتملة والمنجزة بالفعل، أي تمّ استخدامها في سياق معيّن، فهو يحاول تفسير بنية العبارة من خلال النصّ، وهدفه هو فهم كيف ترتبط هذه العناصر ببعضها البعض لتكوين معنى داخل العبارة، وكيف يمكن لهذه العناصر أن تعمل بذاتها في تشكيل اللّغة وتوصيل الرّسالة اللغوية. بعبارة أخرى ينظر العالم اللساني إلى العبارة ليس فقط ككتلة من الكلمات بل كنظام يتكوّن من أجزاء مترابطة، ويسعى لفهم كيفية بناء هذا النّظام وما يقوم به من أدوار وظيفية في تحقيق البناء اللغوي والفهم العام بين المتكلّمين. وأخيرا يجب الإشارة إلى وجود خلاقات جوهرية في هذا المجال، فمدرسة "براغ" وعلى رأسها "ياكوبسون" و"بنفنيست" التي تهتمّ بدراسة علاقة المتكلّم بكلامه، أمّا أتباع "سوسير" ك"شارل بالي" الذين يقترحون اللسانيات تنظر إلى اللّغة وحدها، وعكسها نجد "بلومفيلد" الذي يرى أنّه يستحيل تحديد المعنى وعلاقة صاحب النصّ بالواقع، وذلك لتدخّل عوامل كثيرة في نسيج العبارة. كما أنّ هناك خاصية أخرى هامة للبنية هي التّمييز بين معاهد الكلام، ويترتّب عن هذا أنّنا نستخلص من اللّغة نظاما لغويا يجب دراسته زمنيا وأنيا، فهذه الدّراسة تتيح المفاهيم داخل حقولها المعرفية التي أنتجتها، فلا تفهم المصطلحات بمجردّها من الأطر النّظرية التي أسستها، لذا فمن الضّروري معرفة النّظريات اللسانية التي أنتجت هذه المصطلحات وفهم المناهج اللغوية التي تنتظمها.

خاتمة

عالجت دراستنا موضوعاً جدياً مهمّاً في اللسانيات تحت عنوان: "لسانيات ما بعد دي سوسير"، الذي يُعدّ من المواضيع الطريفة التي حاولت البحث عن الفكر اللغوي منذ الأزل في العصور الوسطى والحضارات الأوروبية والإغريقية، وتوصّلت هذه الأفكار إلى تأسيس علم موسوم كعلم مستقلّ لوحده، له منهجه العلمي والموضوعي العالمي، ومن خلال هذا البحث توصّلنا إلى النتائج التالية:

- علم اللسان لم ينطلق من العدم، بل من أفكار فلسفية تقليدية يونانية وإغريقية.
- تعتبر العالم السوسيري "فرديناند دي سوسير" أول مؤسس لعلم اللغة، نشر كتابه "دروس في الألسنية العامة" عام 1916م.
- تدرس اللسانيات اللغة كعلم قائم بذاته ولذاته دراسة علمية بعيدة عن الأحكام المعيارية والنزعة التعميمية.
- وضع دي سوسير معايير علمية مضبوطة دارساً اللغة انطلاقاً من المستويات الأربعة وهي: المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى النحوي الإعرابي، والمستوى الدلالي.
- اهتمّ دي سوسير ببنية اللغات البشرية ووحدات متعاقبة متسلسلة تشكّل النظام اللغوي.
- وضع دي سوسير مجموعة من الثنائيات اللغوية منها اللغة والكلام، الدال والمدلول، الآنية والزمانية.
- تطوّر أفكار سوسير في الجانب الصوتي، ممّا أنتج عنه المدرسة الوظيفية، والمستوى التركيبي والاستدلالي.

- معرفة آراء أهم المدارس اللسانية الأوروبية والأمريكية خلال القرن الماضي، بدءاً بمدرسة "جنيف" و"براغ" ومدرسة "كوبنهاغن" والمدرسة السياقية، مروراً بالمدرسة التوزيعية وانتهاءً بالمدرسة التوليدية التحويلية.
- استنتاج ترابط علمي وثيق بين المدارس اللسانية وكلّ وحدة تسعى إلى إبراز مفاهيم علمية لسانية جديدة.

وبعد عرض النتائج التي توصلنا إليها من هذا البحث نرجو أن نستفيد كل المهتمين بالبحث العلمي لهذا الموضوع في أبحاثهم ومسيرتهم العلمية، وأدعو الله بالتوفيق والسداد لكلّ طلاب العلم.

قائمة المصادر والمراجع

1- المعاجم:

1. ابن منظور، لسان العرب، مكتبة نور الإلكترونية، دار المعارف، 2016..

2- المراجع:

1. إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، ط1، 2007م-1427هـ، عمان.
2. إبراهيم مصطفى إبراهيم، مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1992م.
3. أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، ط2، دار آل الرضوان، وهران.
4. أحمد قدور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، ط1، 1996.
5. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2005.
6. أندريه مارتينييه، وظيفة الألسن وديناميتها، تر: نادر سراج، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة.
7. أنيس فريحة، نظريات في اللغة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م.
8. حسني خالد، مدخل إلى اللسانيات المعاصرة، مطبعة أنفو-برانت، فاس، المغرب.
9. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر والتوزيع، ط2.
10. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث، 2004م، ط1.
11. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ط2، الجزائر: 2007ن، موفم للنشر.

12. عبد السلام عشير، تطور التفكير اللغوي من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل، ط1، 2010م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
13. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، الرباط، 1986م، دار توبقال للنشر.
14. عبد الله إبراهيم، المركزية الغربية، إشكالية التكوين والتمركز حول الذات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2003م.
15. عبد المومن أبو العسل وآخرون، مستويات اللغة العربية، ط1، دار الصفاء، عمان: 2000م.
16. فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرماذي ومحمد الشاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، 1985م.
17. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الأدب، القاهرة.

فهرس المحتويات

شكر وعران

الإهداء

مقدمة..... 1

الفصل التمهيدى

الفكر اللسانى قبل سوسى

1- المرحلة القديمة..... 09

2- المرحلة الوسيطة..... 09

الفصل الأول

اللسانيات السوسيرية

1- التّعريف بسوسير..... 10

2- مبادئ دي سوسير..... 13

أ- علمية اللّغة..... 13

ب- بنية اللّغة..... 21

ج- مستويات اللّغة..... 24

د- ثنائيات دي سوسير..... 35

خلاصة الفصل..... 42

الفصل الثاني

لسانيات ما بعد سوسير (المدارس اللسانية الحديثة)

44	1- المدرسة البنيوية.....
44	2- المدرسة الوظيفية.....
49	3- المدرسة الغلوسيماتيكية.....
50	4- المدرسة التداولية.....
53	5- المدرسة السياقية.....
55	6- المدرسة التوزيعية.....
58	7- المدرسة التوليدية التحويلية.....
62	خلاصة الفصل.....
64	خاتمة.....
67	قائمة المصادر والمراجع.....
70	فهرس المحتويات.....

ملخص:

اللّسانيات هي تيارات أو مناهج في دراسة اللّغة، ظهرت عبر التّاريخ، ولكلّ مدرسة رؤى ونظرات مختلفة حول طبيعة اللّغة ووظائفها، أهمّها المدرسة البنيوية التي مثلها دي سوسير الذي اعتبر اللّغة نظامًا من العلامات التي تعبّر عن الأفكار. أمّا المدرسة التوليدية التي أسّسها تشومسكي تقدّم مفهوم التوليد الذي يعني توليد جمل لا متناهية، بالإضافة إلى الوظيفية لأندرية مارتيني التي تهتمّ بوظائف اللّغة في التواصل، تليها المتداولة التي تركز على دراسة اللّغة في سياق استخدامها العملي اليومي، فكلّ مدرسة من هذه المدارس قدّمت مساهمات في تطوير فهمنا للّغة.

Summary :

Linguistics refers to the current or approaches in the study of language that have emerged throughout history, with each school offering different perspectives and views on the nature and functions of language. Among the most important is the structuralist school, represented by Saussure, who considered language as a system of signs that express ideas. Meanwhile, the generative school, founded by Chomsky, introduced the concept of generation, which refers to the creation of infinite sentences. Additionally, André Martinet's functionalism focuses on the functions of language in communication, followed by pragmatics, which emphasizes studying language in the context of its practical daily use. Each of these schools has contributed to advancing our understanding of language.